# رسائل سلطانية

## رسائل السلطان المولى إسماعيل العلوي
## إلى ولده المأمون

تحقيق وتقديم

د/ محمد الحسوني

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة

البريد الالكتروني :

Alsakafa_aldinaya@hotmail.com

هاتف: 2025922620+

فاكس: 2025936277 +

فهرست الهيئة المصرية العامة

لدار الكتب والوثائق القومية :

رسائل سلطانية-رسائل السلطان المول اسماعيل العلوى الى ولده المامون

تاليف /مولاى اسماعيل بن شريف

تحقيق تقديم محمد الحسونى

ط-1 القاهرة :مكتبة الثقافة الدينية 2018

1-المغرب- تاريخ- العصر الحديث

2-المغرب -احوال سياسية

الرسائل العربية

أ- الحسونى ،محمد -محقق

ب-العنوان

رقم الايداع :7069

الترقيم الدولي:978-977-341-708-6

# رسائل سلطانية

## رسائل السلطان المولى إسماعيل العلوي
## إلى ولده المأمون

**تحقيق وتقديم**

د/ محمد الحسوني

بسم الله الرحمن الرحيم

# مُقَدِّمَة

سبق وأن نشر عبد الوهاب ابن منصور مؤرخ المملكة سنة ١٣٨٧/١٩٦٧ رسائل السلطان إسماعيل إلى ولده المأمون تحت عنوان. "إلى ولدي المأمون"، من مطبوعات القصر الملكي، واقتصر على خمس رسائل، وقد ارتأيت أن أكمل هذا العمل بضبط وتحقيق وتقديم رسائل أخرى تصل إلى ستة عشرة رسالة ترد بمخطوط السلطان عبد الحفيظ (داء العطب قديم)، ليصل العدد في المجموع إلى إحدى وعشرين رسالة.

تحقيق هذه الرسائل وتقديمها يستهدف على حد ذكر ابن منصور اطلاع الباحثين على أفكار السلطان إسماعيل وآرائه السياسية والإدارية، وكيف كان يتصور الموظف المخزني المثالي ولا سيما من يباشر السلطة ويتولى الحكم، ومايجب أن تتوفر فيه من الصفات التي تجعل منه الحافظ لكيان الدولة والواقف على مصالح الرعية.

يستهدف هذا العمل أيضًا استخراج الأدبيات السياسية التي تزخر بها هذه الرسائل، فهي بمثابة دليل للحكام بشكل عام في كيفية ممارسة السياسة، (خطة المخزن) بالتعبير المغربي، فالرسائل تشخص الأعطاب وتقدم البدائل، فهذه الرسائل تكشف عن عبقرية هذا السلطان في كيفية تدبير مرافق الدولة الترابية والمالية والأمنية، الشيء الذي يجعل منه مرجعا في إرساء وترسيخ دولة المخزن وأساليبها في التعاطي مع المجتمع وفصائله الاجتماعية، القبائل، الشرفاء، العبيد، الحاشية، القياد والكتاب....

وكتبت الرسائل في المخطوط بخط مغربي جميل خال من الأخطاء، تتخللها بعض العبارات بالعامية المغربية، عملت على توضيحها ما أمكن، والتعريف بالأعلام غير أن معظمها من القياد والخدام الخاصين بشكل تعذر معه ذلك.

تغطي هذه الرسائل الفترة (١٠٩٨-١١١٠هـ/ ١٦٨٧-١٦٩٩م) وقد كان خلالها المأمون على مراكش، وإلى حدود ١١١١هـ وزع السلطان أعمال المغرب على أولاده، وعقد لابنه المأمون الكبير الذي كان بمراكش على سجلماسة وأعمالها، نقله من

مراكش إليها وأنزله بقصبة تيزمي، وبعد سنة ١١١٣ توفي المأمون، فولى السلطان مكانه ابنه المولى يوسف.

يمكن قراءة هذه الرسائل من زاويتين، من زاوية كاتبها ومرسلها السلطان إسماعيل، ومن زاوية ناقلها وقارئها السلطان عبد الحفيظ، وكلتا الزاويتين تعكسان وجهات النظر الرسمية، فمن الزاوية الأولى يمكن اعتبار هذه الرسائل بمثابة أدبيات سياسية تعبر عن نظريات المخزن حول الضبط الإداري للتراب، وفرض الأمن والاستقرار عبر تأديب القبائل المتمردة والخارجة عن السلطة من خلال أسلوب الحركات والمحلات العسكرية، والحرص على أموال بيت مال المسلمين من خلال الجباية وحسن التدبير، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال إسناد المسؤولية إلى أشخاص تتوفر فيهم الصفات والسمات المناسبة.

ومن الزاوية الثانية يمكن اعتبار هذه الرسائل، أي في إطار السياق الحفيظي (داء العطب قديم) بمثابة مراجعات نقدية للذات بشأن الأعطاب والأخطاء التي شابت السياسات والممارسات المخزنية منذ العهد السعدي إلى العهد العلوي.

هذه الرسائل من السلطان إسماعيل لولده المأمون تعكس غياب المواصفات المناسبة في المسؤول، حيث يوبخ السلطان ولده بسوء الأوصاف والنعوت النابية أحيانا، والألفاظ القبيحة على تفريطه وعدم اكتراثه وانشغاله بتوافه الأشياء، وينصحه في المقابل بالحزم والعزم والحرص والسهر على المهمات العظام التي تخلد للمجد والفخر. ومن هنا تتكامل الزاويتان في كون الرسائل تشخص الداء والعطب، وتعمل على تجاوزه من خلال نصائح وتوجيهات وتوبيخات وإنذرات.

# أولاً: السياق العام الذي كتبت فيه الرسائل:

## الجنوب: المجال، السكان، والتاريخ

### المجال:

من خلال الرسائل يمكن رسم الجنوب كمجال، مجال واسع يضم إداريا وترابيا تافيلالت حيث يقيم المأمون، ثم سوس ودرعة، توات وتيكورارين، ومن هنا يمتد الجنوب من سوس إلى توات شرقا، ومن درعة إلى تخوم السودان حيث تغازى جنوبا، مجال يحتضن الكثير من الخيرات الزراعية والرعوية، مجال استراتيجي من حيث مرور القوافل التجارية الصحراوية (ورأينا ان تلك البلاد تافيلالت كما قلنا لك غير ما مرة بلاد متسعة كبيرة ولها أعمال، وبها منافع كثيرة، وهي قاعدة من قواعد هذه الأقطار المغربية، وقد كانت في القديم دار الإمارة، ومنها كانت توجه الأوامر والنواهي، وتبعث البعثة، وتخرج أصحاب الولايات إلى أكثر كور المغرب، وقد جمعت بين طيب الهواء وكثرة الخيرات، وتوسطت جميع تلك النواحي والجهات، فهي محط رحال الرفاق من جميع الآفاق، ولا بد لجميع تجار السودان وغيرهم من البلدان منها)[1].

فإلى جانب تافلالت أضاف السلطان لولده درعة وغيرها (وأضفنا لك بلاد الفائجة وبلاد درعة وبلاد توات وبلاد تكورارين، وجميع ما اشتملت عليه هذه البلدان من العرب والبربر)[2].

### التاريخ:

عقب بيعة السلطان خلفًا لأخيه السلطان الرشيد، تخلف سكان الجنوب عن مبايعة السلطان إسماعيل بإيعاز من ابن أخيه أحمد بن محرز، وما لبثت أن تحولت معارضة بن محرز إلى ثورة وجدت في سكان الجنوب حاضنة شعبية، وخاصة من سكان درعة وسجلماسة، وقد تمكن بن محرز من تكوين حلف قبلي يضم (القبائل المترحلة بهوامش وادي درعة من القبائل الأمازيغية وبقايا قبائل بني معقل...وكذا قبائل آيت عطا وقبائل عريب وبني محمد.. ففي الرسالة الثانية يشير السلطان إلى مسألة التنسيق بين بني

---

(١) الرسالة الثالثة.

(٢) نفسها.

محمد وابن محرز، فرغم إكرام السلطان لبني محمد حين وفودهم عليه بمكناس، كان بنومحمد يسربون لابن محرز خبر الاستعدادات العسكرية السلطانية، فكتب لقائده بالجنوب موسى المانوكي بقتل ستين من شيوخهم، لكن هذا الأخير أطلعهم على خبر نية السلطان في اعتقالهم وقتلهم (فبني محمد وحدهم لا يخفى على أحد منهم ولا من غيرهم مساويهم، فلا يحملها ديوان حافظ ولا يأتي عليها لسان لافظ، وأصغرها انصرافهم بنجعهم لدرعة عند ابن عمك بن محرز بنفس انصرافهم من عندنا، وما رجعنا من... حتى عثرنا لهم على براوات لا يلفظ بها مسلم، وحين سمع بن عمك بانا قصدنا السوس خلف ورحل وقصد تارودانت...وكتبنا حينها لموسى المانوكي فاقتل من كبارهم ستين شيخا وعددنا له منهم جماعة لكنه هربهم وأنذرهم)[1]، وقد خاض بن محرز من هناك مواجهات مع الجيش السلطاني قبل أن ينهزم نهائيا بمقتله سنة ١٠٩٦، غير أن مقتله لم ينه مشاكل الجنوب، بل تفاقمت وازداد عصيان القبائل وتمردها على المخزن.

## السكان :

شكل الجنوب مسرحًا للقبائل البدوية المترحلة من المجموعات القبلية العربية من بقايا بني معقل وبقايا القبائل الزناتية المحسوبة على المعاقلة، ومن القبائل الأمازيغية.

**المجموعات القبلية العربية :** ومنهم قبائل عريب من بقايا بني معقل مثل أولاد دليم وأولاد جرير، وشتات من قبيلة أولاد حسين، وقبائل بن محمد والغنانمة المنضوية في تكتل قبائل آيت علوان، وقبائل الروحا التحتانيين والفوقانيين، وقبائل أولاد يحيى.

**المجموعات القبلية الأمازيغية :** ومنهم قبائل آيت عطا أو على الأصح اتحادية آيت عطا، وهي أقوى القبائل الفاعلة حينئذ في الجنوب المغربي، حيث استغلت الانفلات الأمني لتعيش عل سجيتها دون أن تعرف للنظام والضبط معنى، تكسب رزقها على الرعي والترحال واللصوصية وقطع الطريق على السابلة.[2]

---

(١) الرسالة الثانية.

(٢) أحمد البوزيدي، درعة بين التنظيمات القبلية والحضور المخزني، فاس أنفو برانت، ٢٠٠٩، بدا من ص..٦٠

في هذا الإطار عين السلطان ابنه المأمون خليفة على سجلماسة وكل المناطق الجنوبية من وادي درعة إلى كورارة بالصحراء الشرقية ( كنا نظن في جنابك من النجدة والضبط ما ليس في إخوتك، من أجل ذلك كبرناك عليهم واخترناك للولاية دونهم، وقلنا إذا رأيتنا كبرناك على إخوتك تعرف مقدار تلك السيادة وتعمل للولاية شروطها، وتنهض نهوض رجل حازم وتتشوف للمسائل الكبار)[١].

ومن أجل ضبط الجنوب يؤكد السلطان في كل الرسائل التي بعث بها إلى ابنه المأمون على ضرورة الحركة والغزو من أجل تأديب القبائل المنفلتة والممانعة (فاعلم ولدنا أصلحك الله أن هذه الوجهة المباركة التي أمرناك بها، وحرضناك المرة بعد المرة عليها، وقد كتبنا لك في شأنها كتبا عديدة)[٢] لكن أسلوب الحركات لم يكن ناجعا حيث كانت القبائل أمام عنف المخزن تفر إلى الفيافي الصحراوية وقرون الجبال، وفشل الخليفة المأمون في المهام المنوطة به جعل السلطان يوبخه باستمرار بأقبح العبارات (وأما أنت وأشباهك الذين يركنون إلى الراحات، ويغتنمون ظل الجدرات ويؤثرون البطالات، ويختارون على حق الله محادثة النساء والاستمتاع بكثرة التزويج، ويفضلون على تمهيد الأقاليم وتدويخ البلدان وجوف المفاوز المآكل والمشارب، فمثل هؤلاء لا يلائموننا ولا نلائمهم بين الساسة والسهولة، وبين الشجاعة والسياسة...وبالجملة فأنت ما شفيت لنا غليلا في تلك البلاد ولا في أحكامها ولا في رعايتها ولا في ضبطها....وهذه المكاتيب والتوبخات أعيتنا، وقد نصحناك من سنتك وأنت غافل غافل، بارد بارد)[٣].

---

(١) الرسالة الثالثة.

(٢) الرسالة الخامسة.

(٣) الرسالة الثالثة.

# ثانياً: (التعريف بالمرسِل والمرسل إليه)

**تقتضي هذه الرسائل التعريف بالمرسل والمرسل إليه:**

## ١- التعريف بالمرسل:

هو السلطان المولى إسماعيل ابن الشريف الحسني العلوي، بويع له بالملك بفاس الجديد عقب وفاة أخيه السلطان المولى رشيد، ليلة الأربعاء السادس عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وألف هجرية، وحضر بيعته أعيان المغرب وصلحاؤه بحيث لم ينازع في أنه أحق بها وأهلها، ووافق على بيعته أهل الحل والعقد من العلماء والأشراف كالشيخ عبد القادر الفاسي والشيخ أبي الحسن علي اليوسي، وكانت سنه يوم بويع له ست وعشرين سنة، لأن ولادته كانت في القاعة وهي مؤرخة بمن يوثق به سنة ست وخمسين وألف، ولما تمت له البيعة نهض بأعباء الخلافة وضبط الأمور وأحسن السيرة.

كانت أيام أمير المومنين من الأمن والعافية، وتمام الضبط حتى لم يبق لأهل الدعارة والفساد محل يأوون إليه ويعتصمون به، ولم تقلهم أرض ولا أظلتهم سماء، فقد كان خليفة لأخيه الرشيد سبع سنين، وسلطانا وملكا سبعا وخمسين سنة، حتى كان جهلة الأعراب يعتقدون أنه لا يموت،، ويقال إن البعض من أولاده كانوا يستبطؤون موته ويعبرون عنه بالحي الدائم.

وهذه المدة التي استوفاها المولى إسماعيل في الملك والسلطان لم يستوفها أحد من خلفاء الاسلام سوى المستنصر العبيدي صاحب مصر، ولما كانت سنة تسع وثلاثين ومائة وألف مرض أمير المومنين المولى إسماعيل مرض موته.

لم يزل امير المومنين في مقارعة خصومه إلى أن دوخ بلاد المغرب كلها واستولى على سهلها ووعرها، واستولى على تخوم السودان، وامتدت مملكته إلى بسكة من بلاد الجريد[1].

---

(١) أرخ لحياة السلطان المولى إ سماعيل بشكل مفصل عبد الرحمن ين زيدان في المنزع اللطيف من تحقيق عبد الهادي التازي، واليفرني في الروضة الشريفة من تحقيق عبد الوهاب بنمنصور،

## ٢- التعريف بالمرسل إليه:

هو المأمون ابن إسماعيل، أبو اليمن أكبر اولاد السلطان، و أحد أبنائه النجباء، عقد له أبوه على سجلماسة وأعمالها، و نقله من مراكش إليها، وأنزله بقصبته التي بناها له بتيزمي، ورتب معه خمسمائة من الخيل، وبعد سنتين توفي المولى المأمون، فولى السلطان مكانه ابنه يوسف[1].

=

والناصري في الاستقصا ٤٥/٧، والضعيف في تاريخه؟، والريفي في زهر الكم من تحقيق آيسية بنعدادة،، واكنسوس في الجيش العرمرم من تحقيق أحمد بن يوسف الكنسوسي١١٩/١

(١) الاستقصا ٧/ ٨٩، الروضة الشريفة ص١١١، المنزع الطيف في الباب الحادي عشر ص ٢٢٧

## ثالثاً: موضوعات الرسائل:

تعالج هذه الرسائل قضايا كثيرة منها الأمانة والمسؤولية، ومواصفات المسؤول السياسي، وتدبير الولاية، والحث على الحركة، والسعي في الجباية، واختيار البطانة، كما تتضمن مواقف من القبائل الماردة، والشرفاء أهل الغرفة والعبيد.

### ١- الأمانة والمسؤولية:

في الرسالة الرابعة يذكر السلطان ولده المأمون بثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه بقوله (فاعلم أن هذه الأمور التي قلدنا الله سبحانه حكمنها... هي امور دينية كبيرة..... فيجب على كل من ولاه الله على أيدينا منها شيئا، أن يقدرها قدرها، ويعمل لها شروطها، ويعرف حقها ومنصبها، ... ويحتزم لها، ويشد بخناصره ويعض بنواجده عليها) كما يذكره بأهمية ولاية الجنوب، واختياره من بين إخوته لتوليها، فلهذه الجهة وضع خاص، فهي منطلق الدولة ومهد الشرفاء، وهي مسرح للقبائل الماردة والخارجين على السلطة (ابن أخيه أحمد ابن محرز، وأخيه الحران، وابنه محمد العالم)، فقد كان الجنوب مجبولا على احتضان التمردادت والانشقاقات، (وتلك البلاد التي جلها الله إلى نظرك كبيرة، وبها مرافق ومنافع كثيرة،، جمعت ما يكون في البلاد، وخصها الله بمسائل ومصالح زائدة لا توجد إلا بها، وقد كانت في القديم لهذه الأقطار المغربية دار إمارتها، ومركز رايتها..... وانت اخترناك لولاية تلك البلاد من بين إخوانك، وجمعنا لك جميع جهاتها، وأضفنا إليك ما هو خارج منها) (فولايتها يجعل منه الرجل الحازم الجيش والعيش).

وفي مقابل ذلك لم يكن المأمون في نظر والده لا في مستوى الأمانة ولا مستوى الجهة ( وأنت لم تعجبنا إلى هذه الساعة أكثر أحوالك) ويستطرد قائلا ( وّأنت وال على قاعدة المغرب سجلماسة، وهي بلاد الصحراء إلى السودان والنيل، ولا نجدك تعرف معربا، ولا تفض خبرا، ولا تتلقى أحدا، ولا تفض كلاما، وإنما أنت أخرص أبله)[1]، (فالرجل العامي الأبله المغفل لا يولى خطة المخزن، ولا يصلح لها إلا الذي يعرف

(١) الرسالة الرابعة.

الأشياء، وتتوق نفسه لإدراك الغوامض من الأمور البعيدة، ويعرف كيف يتكلم وكيف يكتب، ومن أجل ذلك ينصحه بالحزم والعزم.

### ٢- اتخاذ الحزم والعزم:

يقول السلطان لولده المأمون على سبيل التعميم بضمير الغائب في الرسالة الثانية (فاعلم انه لا يخفى على كل ذي بصر وبصيرة، ومن ولاه أدنى معرفة بالأمور، وخبرة بالمسائل، وتمييز للأشياء، أن من الواجب على الرئيس، ومن هو في ولاية او مولى على عمالة، او رئيس على موضع من المواضع، أو قطر من الأقطار، أن يكون على غاية من العزم، وعلى حالة كبيرة من الحزم، متيقظا لما يجب عليه التيقظ له، ومتفطنا لجميع ما يكون من حقه لا تصحبه غفلة في شيء من الأشياء، ولا تراخ في شيء من شغله، في حالتي سره وجهره)[١].

### ٣- ضبط المكاتبات / البراوات:

لما كان المأمون لا يولي أهمية لمكاتيبه ورسائله من حيث الاختصار الشديد دون تفصيل، يعاتبه والده على ذلك في الرسالة الرابعة موجها إليه نصائح في كيفية كتابة الرسائل وكيفية قراءتها (وأما براوتك، فهي براوات عامي لا يعرف شيئًا ولا يفقه، ولا يكتبها رئيس ولا ذو ولاية، أو ما علمت أن براوات الرجل هي عنوان عقله ومنها يختبر، فمن براواتك هذه يستدل على قلة اعتنائك وعدم تفرسك في الرياسة، واستشرافك للأمور الكبيرة، وهي أقوى دليل وشاهد على عدم تبصرك وقلة حيلتك)؛ وفي الرسالة الحادية والعشرين يوبخه على الاختصار في موضوعات وقضايا يريد فيها السلطان التفصيل الممل (اعلم من براواتك هذه التي بلغت عني شأن أخذ الله أولاددليم وما فيها إلا كلمتان وحرفان، لم يبق لنا شك في كونك أبله مغفلا أحمق حمارا لا تفقه شيئًا ولا تضبط مسألة أصلا)[٢].

وفي هذا الصدد يعلمه كيف يكتب رسائله وكيف يقرئها (تجلس كاتبك، وتجلس قدامه، وتشتغل تملي عليه جميع ما فصل عندك من الخبر، وإذا كتب براوتك يقرئها

---

(١) مستهل الرسالة الثانية.

(٢) الرسالة الحادية والعشرون.

عليك حرفا حرفا، فتعرف ما كتب فيها، فإذا استكمل غرضك وأعجبتك فحينئذ تختمها وتعلمها، وتوجه بها إلينا)[١].

ويزيد في حثه على الاهتمام بالمكاتيب ( فإذا وصلك في حفظ الله فاقرأه حرفا حرفا، وتعرفه فصلا فصلا وشد يدك عليه، واعمل بما فيه)[٢].

## ٤- اختيار البطانة:

بعد توبيخه على جمع البراهيش والواشون من حوله، ينصحه باتخاذ الصحب الصالح (فالصاحب الخديم إذا كان بالمنة والجميل والكره ليس هو صاحبا ولا خديما، وإنما هو عدو مبين، لا ينفع عند الحاجة إليه، ولا يتكل الرجل الحازم عليه، واعمل أصحابك الذين تستريح فيهم، وتنفعك خدمتهم)[٣] وفي الرسالة الخامسة يتحفظ السلطان على بعض الأشخاص الذين اتخذهم المأمون لبعض المهام لقلة خبرتهم (فلو كنت رجلا ما تقنع توجه إليها محمد بن كريم وهو لا يعرف كيف يدخل ولا كيف يخرج...ولا يعرف كيف يخاطب الناس ...ولا يحسن التدبير...وولد كريم يشير حيث ما مارس برهة من الزمان)[٤] وفي الرسالة الواحدة والعشرون يعاتبه على اتخاذ الأقرباء بطانة من قبيل ابن عمه بن مجرز (وأما مخالطتك لعبد الواحد بن محرز فوالله ما لك فيها خير ولا صلاح، لأنه لا يدلك على خير...ولا تنال بخلطته مكرمة ولا طائلة).

### ٥- الحث على الحركة:

شكلت الحركات تأديبا للقبائل المتمردة، والتيارات الخارجة، والقبائل الممانعة، وقد عرف السلطان بكثرة حركاته التي استمرت خمس وعشرين سنة، ولذلك نجده يحث ولده المأمون على الاستمرار في الحركات، وخاصة ضد قبائل اولاد دليم وآيت عطا واولاد الزبير وأولاد عبدالله، وضرورة استئصال شأفتهم، يقول في الرسالة السادسة (ونحن نريد أن تتوجه على بركة الله توجه رجل، وتعمل فيها ما تستجلب به رضا الله سبحانه، فإن أولئك المارقين فرقة باغية خالفت حكم الإمام، وخرجت من ربقة

---

(١) الرسالة الرابعة.

(٢) الرسالة الرابعة.

(٣) الرسالة التاسعة.

(٤)الرسالة الخامسة.

المسلمين والإسلام، يجب قتالهم)[١] ( وانهض نهوض رجل واحد، واتبع أولاد عبد الله حيثما كانوا، فإذا أظفرك الله بهم فلا تبق على أحد منهم) (فإذا كنت رجلا فها رؤوس الضلال وذوو النكث والزيغ ومشاهيب الفتن اولاد عبد الله بن موسى) ويعلمه السلطان كيفية الاستعداد والسير واختيار الزمان والمكان (وقد كتبنا لك في شأنها كتبا عديدة، وأكدنا عليك في حجتها، وامرناك كيف تعمل في مسيرك وسيرك بتأن وتوان كأنك راتع مستريح)[٢].

وفي الرسالة التاسعة يحثه على الغزو دون توقف (وأحببنا أن تسمو بك همتك، وتطلع بك نجدتك إلى القبائل البعيدة التي تسير إليها الجيوش الكثيفة، وتسير إليها الأيام والليالي ذوات العدد) وفي الرسالة الثالثة يحثه على التطلع للمهمات الكبار، وهي في نظره الزحف والغزو وتنظيم الحركات على الأراضي البعيدة والقبائل الممانعة .

### ٦- السعي في تحصيل الجباية:

يؤاخذ السلطان ابنه على سوء تحصيل الجباية ( فنحن ما أعطيناك درعة تجلس في تافيلالت وتوجه إليها من أولئك الأوباش ممن ينتفها، عشرة يأكلها لنفسه، وواحدة يأتيك بها).

ويستشهد السلطان في حرصه على الجباية بقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والله لأقاتلن من يفرق بين الصلاة والزكاة، فأهل الزراعة يعطون أعشار الزرع، وأهل الكراع يعطون أعشار الكراع، وأهل البقر كذلك، وأهل الشاة كذلك)[٣]، ويأمره بالمعرفة الدقيقة لمستحقات الدولة في الجباية (وقسط عليهم ما يجب من حق الله تعالى، ولا تضيقه عندهم، ولا تخله فيهم، .. فإذا دولته وعرفته وقسطته، وعرف كل واحد منهم ما يجب عليه في شاته أو ناقته أو متموله)[٤].

---

(١) الرسالة السادسة.

(٢) الرسالة الخامسة.

(٣) الرسالة الثانية.

(٤) الرسالة الثانية.

وقد كان السلطان شديد الحرص على الجباية إلى حد شكلت موضوعًا لإحدى رسائل الشيخ علي اليوسي حيث احتج بشدة على الظلم الجبائي للمخزن في حق الرعية.

### ٧- ضبط المجال والتحكم فيه:

يأمر السلطان ولده المأمون لمعرفة المجال والتحكم فيه ( وتطمح بك نفسك إلى تمهيد الأقاليم والأقطار، وتترامى على البلدان الشاسعة، وتكاتب عرب القبلة، وعرب تنبكتو، وعرب تغازى، وتراسل ملوك السودان، وتخاطب جميع تلكم البلدان، وتكون عيونك مبثوثة في جميع تلكم النواحي، حتى تعرف كل قبيلة وما هي عليه، وتعرف بلد كل رئيس وما هو عليه)[1]، ويعرفه ببعض القبائل في الرسالة الرابعة (وأولئك الأباليس أولاد الدليم قبيلة كبيرة، تشتمل على أفخاد وشعب كبيرة وفيهم اولاد سنان وأولاد معدن).

## رابعا: مفاهيم مؤطرة

**تؤطر هذه الرسائل مفاهيم التمردات والحركات والجبايات:**

تميزت فترة السلطان إسماعيل بكثرة الخارجين والثائرين عليه من داخل البيت الحاكم:

- ثورة ابن أخيه أحمد ابن محرز.
- ثورة إخوته الثلاثة المولى الحران.
- ثورات البربر آيت عطا وصنهاجة.
- ثورة ابنه محمد العالم.
- احتضان المدن كفاس ومراكش والقبائل آيت عطا وغيرها للخارجين والثائرين، الشيء الذي شكل تهديدا للمخزن، ومن أجل وضع حد لذلك تميزت فترة حكم السلطان بكثرة الحركات التي وصلت في مجموعها ما يزيد عن ست وعشرين حركة

(١) الرسالة الثالثة.

قاد منه السلطان أربعة عشرة حركة[١]، وقد كانت تلك الحركات مكلفة جدا الشيء الذي يرفع من كلفة المخزن على القبائل. جبايات، وسخاير وتوايز.....

وفي هذا الصدد قال اليوسي في رسائله المشهورة للسلطان: (فلينظر سيدنا فإن جباة مملكته قد جروا ذيول الظلم على الرعية، فأكلوا اللحم وشربوا الدم وامتشوا العظم، ولم يتركوا للناس دينا ولا دنيا، فأما الدنيا فقد أخذوها وأما الدين فقد فتنوهم عنه، وهذا شيء شهدناه لا شيء ظنناه) ( وإنما جاءهم الضعف من كثرة المغارم الثقيلة، وتكليفهم الحركات وإعطاء العدة)[٢].

## خامسا: المخزن والهامش

تثير الرسائل المتبادلة بين السلطان وولده مسألة المركز والهامش، أو ما يسمى بالمخزن المركزي والمخزن المحلي، فلقد كان المخزن المحلي الأساس الذي يشد من عضد المخزن المركزي، ولقد شكلت الرسائل آلية من آليات التواصل والإخبار بينهما، كما شكلت وسيلة لقياس مدى ارتباط الهامش بالمركز، وقياس مدى تحكم المخزن في المجال.

فعلى ضوء الرسائل كان المخزن يتخذ قراراته اعتمادا على ما يتلقاه من أخبار حول القبائل، حركاتها وسكناتها، ومن هذا المنطلق شكلت الرسائل والمكاتيب أهمية عند المخزن بدليل حرص السلطان على المراسلة، لذلك لا تخلو رسائل السلطان المبعوثة إلى ولده المأمون الحث على ضرورة الاهتمام بالمراسلات والبراوات كتابة وقراءة، والاعتناء بالتفاصيل مهما كانت مملة (الشاذة والفاذة)، بل يضرب له أمثلة في التفاصيل المملة التي ميزت بعض المراسلات التي تمت بين السلاطين من أبناء الأسرة العلوية.

---

(١) زهر الأكم من تحقيق آسية بنعدادة ص٥٨-٥٩

(٢) الجيش العرمرم، ١/ ١٣٣

## سادسا: المخزن والقبائل: العنف والعنف المضاد:

كانت قبائل آيت عطا تناصر كل شريف من البيت الحاكم إذا ما تصدر للأمر بالجنوب، الأمر الذي جعل سلاطين الدولة العلوية يقومون بانفسهم بالحركات العسكرية إلى الجنوب لردع قبائل آيت عطا ووضع حد للخارجين عليهم، وبمجرد وفاة السلطان الرشيد وبيعة السلطان إسماعيد تخلفت عن بيعته كل القبائل الجنوبية، ومدينة مراكش بإيعاز من ابن أخيه ابن محرز، والذي على خروجه اوقع السلطان بالمدينة وأهلها، وقد شكلت سوس ودرعة والصحراء معقلا للقبائل الثائرة من عرب المعقل. وقاعدة خلفية للخارجين على السلطان من إخوانه الحران وأبناء إخوانه بن محرز وأبنائه أبي النصر، ومحمد العالم.ومن هنا يتضح إشكالية العلاقة القائمة بين الدولة والقبائل، علاقة قائمة على ضبط الدولة للمجال والتحكم فيه واستغلاله، ومحاولة القبائل الخروج من سلطة الدولة وتكاليفها والانتشار في المجال بكل حرية، الشيء الذي يفسر تبني الدولة لأسلوب الحركات، وتبني القبائل لأسلوب العصيان واحتضان المتتمردين.

## سابعا: عملي في الكتاب:

من أجل الوصول إلى نصوص- رسائل- أقرب ما يكون إلى النصوص الأصلية قابلت هذه النصوص انطلاقا من نسخ ابن منصور خاصة الخمسة منها في كتابه المنشور -إلى ولدي المأمون - والرسالة السادسة المنشورة بكتابه روضة التعريف، ورمزت لها بالحرف ص، ومخطوط السلطان عبد الحفيظ الكائن بالخزانة الوطنية تحت الأرقام المذكورة سلفا والتي رمزت لها بحرف ح، وشرحت في حدود الإمكان بعض الألفاظ العامية، وعرفت ببعض الأعلام وأسماء بعض القبائل بشكل يساعد على فهم النص واستيعابه.

بسم الله الرحمن الرحيم

# الرسائل

## [الرسالة الأولى]

ولدنا المأمون سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد:

فاعلم أننا كنا كتبنا إليك قبل هذا كتابا ربانيا بتوفيق من الله سبحانه، وأرشدناك بعون من الله إلى ما أرانا الله سبحانه من الصلاح والسداد والخير والرشاد، وبينا لك ما كنا ننكره عليك، وما لا يجمل بك إذا نسب إليك، وأحببنا أن يبلغ ذلك الكتاب منك كل مبلغ، وتشد عليه وعلى ما فيه خناصرك، فإنك هذه مدة كانت تبلغنا عنك مسائل لا نرتضيها منك، ولا نصبر لك فيها، فاجعل ذلك الكتاب نصب عينيك، واعمل على مطالعته وتفهم ما فيه دأبك[١] وشغلك، وليكن عندك ذخيرةً وحرزاً، فإذا وفقك الله وعملت بما فيه فإنك ترشد إن شاء الله، وتلكم البلاد كما قلنا لكم لا تشق[٢] بها وبأحكامها إلا برجل جد لا تأخذه في الله لومة لائم، وقط ما تغافلت عنها وعن تفقد أخبارها وأحوالها، وكل من ورد منها كنا نسأله عنك وعن حالك وسيرتك وما أنت عليه.

وهذا دحمان غرنيط[٣] كان قبل هذه الساعة مروعاً، وكان يخاف منا ومنك، وكنا إذا أحببنا أن نوجهه إليك يظهر التلكؤ وبعض التوقف، ونعرف منه الخوف، وفي هذه

(١) في ص ديدنك.

(٢) في ص نثق وهو الأصح.

(٣) أول من اتصل من أسرة غرنيط بدولة المولى إسماعيل على حد ذكر محمد بن المفضل غرنيط في فواصل الجمان، وأسرة غرنيط أسرة أندلسية شهيرة استقرت بمكناس، ابن منصور في رسائل المولى إسماعيل لولده المأمون، ( إلى ولدي ) ص٢.

الساعة أعز ما عنده نذكر له المشي إلى تلك البلاد، وحيث ما سألناه عنك يشتغل يهمهم ويمهمه ولا يشفي لنا الغرض ولا الغليل في الخبر عنك، ولا يعرب لنا عنك بشيء يسكن إليه الخاطر ويطمئن إليه القلب، فما قال لنا فيك خيرا ولا غيره إلا في هذه المرة، قلنا له: كيف هو المأمون ؟ فقال لنا: بخير، حتى تلك الشراسة التي كان يتقيه الناس لأجلها ما بقيت فيه، فقد ألفه الناس، ولا يخاف أحد منه، وظن أن هذا الكلام مدح في جانبك، وأنه يتخلص به معنا ويجوزنا[١]، وما علم أنه أسقطك في أعيننا بهذه الكلمة، وأنه أطرحك بها كل مطرح، فإن الشراسة في الوالي هيبة له يخافه بسببها القريب والبعيد، وينصف الناس من الحقوق بعضهم من بعض اتقاء لها، فهي محمودة، وإن لم تكن في الرجل طبعا فينبغي له أن يتطبع بها ويستعملها ليهابه الناس ويعملون بحسابه.

وتلكم البلاد بها من جماعتنا وأقاربنا وإخواننا ومن رُبِّيَ معنا، وقد علمت وأنت خليفتنا بها هنالك، فإذا كان الناس لا يهابونك ولا يتقونك فكيف ينصف بعضهم بعضا، وكيف تجري عليهم الأحكام، وكيف يتساوون عندك في الحق، فما كان بقي لنا فيك إلا ما كان يبلغنا عنك من الهيبة، وأنك لا تأخذك في الحق لومة لائم، وكان يخافك بسبب ذلك كل أحد من أقاربك وغيرهم، واليوم حيث صرت بمنزلة وَاحِدٍ من إخوتك[٢] فأي فائدة فيك، وأي مزية لك، وأي شيء يتقيك الناس لأجله، وعلى ماذا يؤثرك الناس على غيرك، فتفطَّنْ لما كنا ننبهك عليه، ونرشدك بتوفيق من الله إليه، ونحذرك منه.

وتلك الشريفة بنت سيدي هاشم، أم أولاد أخينا محرز[٣] رحمة الله عليه، كان بينها وبين أحفادها أولاد مولاي بوفارس مطالبة بشيء من المال، كانوا يدعون عليها به، ولما رَجَعَتْ من الحجاز وطالبوها بذلك قالت لنا: هذا الشيء الذي يذكرونه أولاد مولاي بوفارس لا شك أنه كان في يدي، وقد أنفقته وأكلته في طريق الحجاز عَلَيَّ وعليهم ذهاباً وإياباً، ولم يبق من ذلك عندي قليل ولا كثير، وأحببت من الله ومنك أن تُصَفِّيني

---

(١) يتحايل علينا.

(٢) في ص منهم.

(٣) أخ السلطان المولى إسماعيل، ووالد أحمد بن محرز الثائر، استخلفه والده على سجلماسة ثم مراكش، بنعدادة في زهر الأكم، ص ١٧٥.

معهم، فأعطيت حينئذٍ لأولاد مولاي بوفارس ما أعطيتهم من المال، وقلت: إن لم يكن ذلك من حقهم فَإِنَّا نجبرُ به خواطرهم، ونرفع به نزاعهم مع جدتهم، وقصدنا بها معهم صلة الرحم وإصلاح ذات البين، وما ظننا أن يبقى بينهم وبين جدتهم بعد ذلك نزاع ولا كلام، إلى أن أتى إلينا هذه المرة ولد مولاي أبي فارس في جملة الشرفاء، وقال لنا: أحببت من الله ومن عمنا أن يُصَفِّيَ مسألتنا مع جدتنا فيما نسأله لها، وَهَا العقدُ الذي يتضمن ذلك عند مولاي الشريف بن الحران، وَظَنَنَّا أنه ربما يكونُ عندهم مع جدتهم كلام لم نطلع عليه، ونسينا ما كنا أبرمنا معهم في مسألتهم ومسألة جدتهم، ولم نتذكرْ ما كنا أعطيناهم من المال عن جدتهم، وَنَحْنُ معه في ذلك الكلامِ إِذْ لحق بِنَا مولاي الشريف بن الحران، فقلت له: أَيُّ عقدٍ أَمَوْلاَيَ الشريف عندك لأولاد مولاي بوفارس؟ فقال لنا: حَقٌّ لهم عندي، وَمَهْمَهَ عليه، ولم يبين لنا كيفية العقد ولا ماهيته ولا حقيقته، فاختلسوا منا الكلام، وَمَوَّهُوا علينا في مسألة العقد، ولما أن بلغ للشريفة ذلك الخبر كَتَبَتْ لنا كتابا تذكر لنا فيه: أصل المسألة التي يَذْكُرُ لك أولاد مولاي بوفارس هو ما كانوا يدعون بِهِ عَلَيَّ لمَّا رجعتُ من الحجاز، وَفَاصَلْتَنِي معهم، وأعطيت عني نصرك الله ما أعطيتهم، ولم يبق لهم كلام، والعقد الذي كان مكتوباً بذلك هو الذي عِنْدَ وَلَدِ مولاي الحران، فلما أذكرتنا الحكاية التي كنا نسيناها، وعرفنا الحق الذي هو من حقها تغيَّرَ خاطِرُنَا على الشريف ابن الحران، حيث سألته مشافهة مِنِّي إليه ولم يعلمني بكيفية المسألة، وَيُبَيِّنَ لي ما كان فيها من الكلام والفصال وكان من حقه أن يقول لي حين سألته: إن أولاد مولاي بوفارس لا يسألون لجدتهم شيئا، وهذه المسألة التي يطلبون هي التي أعطيتهم فيما أعطيتهم، وصفيت بذلك حُجَّتَهُمْ مع جدتهم، ويكون صَفَّى ذمته من التلبس والإختلاس، ويربحَ أَجْرَ أولادِ أخته، ولا يُغْرِيهِمْ على جدتهم حتى يحصلون منها دَعْوَةً، ويجري بينهم وبينها الخماشة[1] والكلام، فابعث له حتى يكون بين يديك، وخاصمه وقل له: أَنَّ وَالِدَكَ أيدَهُ الله كان لا يحب لكم إلا الخير، ولا يجري إلا في مصالحكم، ولا يسعى إلا في منافعكم ومرافقكم، ولا يبحث إلا عن ألفتكم، ولا يحب أن يكون بينكم تحاسد ولا تقاطع ولا خماشة ولا منافرة، ولا يريد بكم إلا أن تكونوا من ذوي البيوتات، وأهل المروءات، وتتركون عنكم هذه المسائل التي تضع من

---

(١) الخماشة بمعنى الخصام.

أحسابكم، وتنقص من أقداركم، وتجلب لكم العداوة فيما بينكم، فكيف بكم يُحِبُّ لكم من الخير ما يُحِبُّهُ لكم وإذا تكلم معكم على مسألة من مسائلكم يعود نَفْعُهَا عليكم لا تصدقونه فيها، ولا تُبَيِّنُونَ لَهُ قضيتها، وكل واحد منكم يتكلم على قدر شهوته، ويبحث عن جلب منفعته، والله لو اشتغلتم بما ينفعكم من الجِدِّ والصدقِ مَعَهُ وتتركونَ عنكم حتى هذا الوُفُودَ التي تَفِدُونَ إليه، وهذا التَّرَدُّدَ الذي تترددون عليه إلا أَحْسَنَ لكم، وإذا أحب معاملتكم يعاملكم على البُعْدِ، فكم غضَّ بصرَهُ عنكم، وكم استحيا منكم وعاملكم، وأنتم لا تزدادون إلا تمادياً على أفعالكم، فهؤلاء أولاد مولاي بوفارس هم أولاد أختك وصرتَ تُغْرِيهِمْ على جدتهم، وتثير لهم الفتنةَ، وتزيد الكلامَ مع أعمامهم، ويسألك والدي عن مسألتهم وَهِيَ مُحَقَّقَةٌ عِنْدَكَ فصرتَ تُمَهْمِهُ عليه فيها، ولا تعلمهُ بكيفيتها ولا صحتها، فحيث سألك والدي نصره الله تكون أعربت له عن الحقيقة، وبينت له أصل المسألة، وصدقته فيها، وما كان يحتاج إلى عتابٍ، ولا إلى تَغْيِيرِ خَاطِرِهِ بهذا الكلام وَشِبْهِهِ، وقل للشريف ابن الحران حتى أنَّ المسألةَ عرفناها وتحققتْ عندنا، ولا يبقى لأولاد أخته ما يطلبون عند جدتهم ولا يتبعونها به واعلم أنه يصل صُحْبَةَ دحمان غرنيط خديمنا الحسن وَبَاعَلِّي التغازي، فقف معه وقوف رجل أنت وخديمُنَا المحجوب الغنجاوي حتى يُكَمِّلَ لنا ثلاثة آلاف مثقال التي بقيت عليه من المالِ الذي كنَّا جعلنَا معه يأتينا بِهِ على رأسِ كل سنةٍ، وَضَمِنَهُ هُوَ، فما أتى في يَدِهِ هذه المرة إلا بألفين ومائتين مثقالا، وبقيَ عليه ما ذكرناه لك، وطلب منا القدومَ لتافيلالت لينظرَ هنالك من يعامله بها، وقال: إنه يخلصنا[1] هنالك على كل حال إن شاء الله، ولاشك أن تلك البلاد أكثر أهلها وغالب من في يده بضاعة من سكانها أنهم يترددون على تغازى[2] وتنبكتو[3]، ففيهَا من أهل المعاملات كثيرٌ، فإذا اتفقوا معه على أن يبعثَ لهم متَاعَهُمْ بنفس ما يصل لتغازى فتباركَ اللَّهُ، فإنه لا يبطئُ بهم، وإذا اتفقوا معه على أن يوجهوا معه من يقبض لهم متاعهم فكذلك أيضا، فشدَّ روحك فِيهِ وَقِفْ لَهُ، ولو كنت تعامله أنت من

---

(١) يؤدي لنا.

(٢) ملاحة شهيرة، تقع جنوب توات من الصحاراء المغبية، الحقت بالدولة السعدية زمن محمد الشيخ السعدي، رسائل بن منصور ص٨

(٣) مدينة إسلامية شهيرة بشمال مالي، اشتهرت بنشاطها التجاري والعلمي منذ القرن الخامس الهجري، نفسه ص٩.

عندك فلا يضيع لك عندهم شيء من متاعك وعلى كل حال فبلاد تغازى هي محسوبةٌ عليك، إلا أنك رجلٌ قليلُ الفائدة والنتيجة، وأما لو كانت فيك فائدة ونتيجة ما تجعل بتغازى إلا من يكون على يدك، ولا تغفل عنها وتقنع أن يكون فيها من تُسَوِّلُ لهُ نَفْسُهُ أن المدارات تكفيه معنا، فما بين الغزلان التي هي أسفل وادي درعة وبين تغازى إلا عشرة أيام، وعرب الصحراء الذين دائما يترددون لتغازى على يدك وفي طوعك، فأولاد الزبير[١] وعريب[٢] مَا يَعْرِفُونَ إلا تلك البلادَ، فهم عربها، يَعْرِفُهَا كبيرهم وصغيرهم، فأي كلفةٍ عليك لو كنت ضَمَمْتَ إلى أولائك العرب ثلاثمائة رامٍ[٣]، أو أربعمائة وأقسمت لهم إن لم يدخلوها في أمر قريب حتى تفعل وتفعل بهم، أَفَتَرَاهُمْ لا يرونَ[٤] لك قَسَمَكَ، أو تكددهم[٥] تلك البلاد أو تكون عليهم فيها كلفة، أَوَلاَ يعلمون لك فيها مزية، والله لو عملتَ لها ذلك ما كانت بحول الله وقوته إلا في يدك، وتكون توسعت فيها، وتوجه إليها حتى بالإبل التي تفضل عليك، وتنتفع منها بنفع كبير، فإن ذلك الرجل الذي بها الآن كان على يد رجل بودراري[٦] من جملة ثوار المغرب، لا يملك حتى شبراً من الأرض، وكان يوجه إليه بأحمال التبر وبالعبيد والخدم، وبالطرف التي تجلب من جهتها، وما كان عنده إلا بمنزلة الأمين عليها، يحاسبه على داخلها وخارجها ومستفادها ولا يكتم عنه شيئًا من أمرها، وينتفع هو بالتجارة، وبالأجرة والعمالة مثلا، أو بتكبيرة العرب له، واليوم الذي من الله فيه على المسلمينَ وجاءت هذه الدولة المباركة في عنفوان شَبِيبَتِهَا وانزاحت أيام الهرجِ، وخمدتْ نيرانُ الفتنِ من هذه الأقطار المغربيةِ، وَحَسَمَ الله مادة أهل الزيغِ والثوارِ الذين كانوا يمرحون بها، وجمع الله المسلمين، وأنكر أعداءه الكافرين، وَفَتَحْتُ مِنْ معاقلِ الكفرةِ ما نرجو من الله تعالى أن يثيبنَا عليه، وأن يجعله في ميزان الثواب والحسنات، وأمنت الرفاق، وَدُوِّنَتِ الدواوين، وجمع الجند

---

(١) قبيلة عربية استقرت بين زاكورة ومحاميد الغزلان، اشتهرت بالأدلاء في توجيه القوافل التجارية.

(٢) قبيلة عربية لازالت مقيمة بتلك الناحية، اشتهرت هي الأخرى بالأدلاء.

(٣) في ص راع.

(٤) في ص يبرون.

(٥) تأودهم.

(٦) سقطت من ص.

والجيش، وَوُقِّفَتْ بيوت الأموال، وصار الناسُ مشتغلين بأسبابهم من جهادٍ وحج وتجارة وأمانة، وامتدَّتِ الطاعةُ والحمد لله لأقاصي بلادِ القبلةِ وما وَلاَهَا من بلاد الأكوارِ والسودان، ومحالِّ المسلمين والحمد لله هاهي إلى الآن في بلاد القبلة، صار ذلك اليشيري[١] الذي بِتَغَازَى يَلْعَبُ وَيَعْبَثُ ويوَجِّهُ إلينا بِأَلْفَيْ مثقالٍ يحملها عَمُّهُ تَحْتَ إِبِطِهِ، فذلك الذي كان يوجه إليه أبوه أحمال الذهب والتبر ما كان ينفقها إلا في شهوة نفسه، ولا يصرفها إلا في منفعة رأسه، واليوم والحمد لله إذا وَجَّهَ شيئًا لنا ننفقه في مصالح المسلمين ومرافقهم ومصالحهم، وَنَزِيدُ في الجيشِ، ونبني المساجد، أفترضى لنفسك يا قَلِيلَ الفائدةِ أن يكونَ حولك مَعْدِنٌ من معادنِ بيتِ مالِ المسلمين وهو أَجَلُّ ما يُجْبَى إليه، وأحلُّ ما يُقْدَمُ به عليه، ثم لا تعمل فيه أحداً عَلَى يَدِكَ، أو تحاسب ذلك الذي بيده حتى يكونَ يعرف منك الجِدَّ ويخافك ويهاب قُرْبَكَ منه، ويشتغل بالخدمة ونصيحَةِ بيتِ مال الله تعالى، فهذا الذي صار يُوَجِّهُهُ ما تقنَعُ حَتَّى أنت به، فقريبا على قدر ما نَعْقِلُهُ نَحْنُ، كان بتنبكتو أيام استقراره بها هو وأخوه وَالِدُ صانوبين هذا الذي بأرواوان، وكانت بينهم وبين عمك مولاي محمد[٢] رحمه الله خماشة، وسعوا له من تافيلالت، واستقروا بالسودان وكانوا يخافونه على نخيلهم وأصولهم الذي كانوا يعملونه في السيعة[٣] ويشترونه، فدخلوا تحت جَدِّكَ مولاي الشريف رحمه الله، وَتَوَالَوْا معه وتحابوا، وصاروا حيثما طالبهم بشيء يبعثون لمولاي الشريف هدية يواصلونه بها تشتمل على سبع صور[٤] من التبر، أو ثمانية أحمال من الكور، وطرفِ تلكَ البلادِ حتى أقراح[٥] التي تأتي من السودان، قبل كانوا يبعثون بها إليه، وإن لم يكن مولاي الشريف يستعملها، والله لقد عَقِلْتُ على السيد حمو بن الحاج بنفسي جاءت هديته مرة أو مرتين، ودائما كان يبعث ذلك، وحتى العبيدُ والخدم كان يوجههم إليه مع هديته، فَأُمُّ عمك العباس كانت تساوي حملاً من المالِ، هُمُ الذين وَجَّهُوا بها إليه، وكذلك أنزا

---

(١) الطفل الصغير.

(٢) أخ السلطان المولى إسماعيل، ابن الشريف العلوي.

(٣) في ص السيفة وهو الأصح، مكان بتزمي يسكنه الشرفاء وعرب الصباح.

(٤) في ص صرر.

(٥) في ص أقداح.

الكبير ومبارك والعربي وغيرهم من العبيد، وأولئك الناس أبناءُ عمنا، وما كانوا على مَعْدِنٍ ولا على عمالة، وإنما كانوا يعاملون مولاي الشريف بذلك شبه المودة، وتسترا به من ولده مولاي محمد رحمه الله، فَكَيْفَ بِالتَّغَازِي يَلْعَبُ في مَعْدِنٍ من معادن بيوت الأموال حلالٍ طيبٍ، وَقَطُّ مَا تَفَكَّرَكَ بشيءٍ ولا عَرَفَ حتى أنه مِنْ جملةِ الأحبَّاءِ، وأن ذلك المعدنَ خالصٌ لبيت المال، وإذا أخذ منه شيئًا فإنما هو سرقةٌ محضةٌ تَتَعَامَى أنت عنه، وتشتغلُ بِلُعَبِ اليشاشرة[1] الذين لم يبلغوا الحلم، وَتُوثِرُ الرَّاحَةَ والدعةَ عن الأمور التي تُخَلِّدُ لك الذكرَ، فأنت إذاً لَسْتَ من رجالِ الجِدِّ، وَدَرْعَةٌ إذا لم تَعْمَلْ بها مزيةً نَنْظُرُ لها قائداً على أيدينا وَيَعْمَلَ بنظرنا فيهم، تأكل أنت مالها ويتوسع معك فِيهِ أولئك الأَخْلاَطُ الذين جمعنَاهُمْ عليكَ، فإن أحببتَ مزيتكَ لشغلك فَتَلَقَّى ما كُنَّا نخاطبك به بِأُذُنٍ واعيةٍ وقلبٍ فارغٍ، وهذا الرجل التَّغَازِي الذي يَرِدُ عليك والله لولا أننا رأينا منه الجد في هذه المرة لا نقدم شغلا على من نوجه لِتَغَازَى، وقد عملنا له غرضه، وكتبنا له بما طلبه منا، ولم يبق له إلا أن يخلصنا في تلك البلاد من هذه الثلاثة آلاف مثقال، ويتوجه لولد عمه ويشتغل معنا بالجد، فإنه قال لنا: كل ما عمله عبد المالك في تَغَازَى فأنا الذي عملته، والغالبُ عليه الصدقُ فيما يخاطبنا به، فَشُدَّ روحكَ معه كما ذكرنا لك، وإن توقف له عندك غرض فاقضه له، ووجهه على خاطره كما يحب ويرضى، وإذا وجهت إلينا خديمنا دحمان غرنيط بعد استيفاء مدة الغرض فوجه لنا معه مولاي الشيخ بن عبد الكريم ومولاي الوليد، وَإِنْ عبد المالك بن طلحة، وَإِنْ بلقاسم بن البشري، وذلك الرجل الذي على [أيحار][2] يأتون صحبته لنتكلم معهم إن شاء الله. والسلام.

وكتب في ٣٠ من صفر الخير عام ١١٠٤هـ.

---

(١) الأطفال الصغار.

(٢) في ص الجار.

# [ الرسالة الثانية]

ولدنا المأمون، سلامٌ عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد:

فاعلم أنه لا يخفى على كل ذي بصرٍ وبصيرةٍ، ومن له أدنى معرفةٍ بالأمور وخبرةٍ بالمسائل وتمييزٍ للأشياء أن من الواجب على الرئيسِ ومن هو في ولايةٍ أو مولى على عمالةٍ أو رئيسٍ على موضعٍ من المواضع، أو قطر من الأقطار، أن يكون على غاية من العزم، وعلى حالة كبيرة من الحزم، متيقظا لما يجب عليه التيقظ له، متفطنا لجميع ما يكون من حقه، لا تصحبه غفلة في شيء من الأشياء، ولا تراخ في شيء من شغله، في حالتي سره وجهره، ومهما أدركه تغافلٌ أو لحقه تراخٍ، أو ظهر منه فتورٌ أو مللٌ، أو ناله عجز أو كسل، فذلك قصورٌ في حقه، ولم يكن واقفاً في الأمرِ الذي يُرَادُ منه على مستحقه، وأنت لا يَخْفَاكَ ما كنا عاتبناك عليه قبل هذه الساعة من عدم كتبك إلينا، وقلة تردد برَاوَاتِكَ علينا، وَظَنَنَّا أنك منذ انصرفت من حضرتنا العلية بالله هذه المرة لا تألو جهداً في ارتكابِ ما يُحْمَلُ سَمَاعُهُ عنك، ولا تُقَصِّرُ في أعمال ما يُحْمَدُ صدوره منك، وخصوصاً حين قدمت هذه المرة من حركتكَ (ودزت)[١] من ناحية الصحراء، وعرفت ما كنا أوصيناك عليه، وأرشدناك في سفرك ذلك إليه، وما حَضَضْنَاكَ عليه من إمعانِ النظر في أحوال تلك البلاد التي كنت فيها، والتَّخْيِيمِ بالموضع الذي يليق بك منها، وإغضاءِ الجبين[٢]، وإرخاءِ الجناح، وانتهازِ الفُرَصِ، وإلقاء الشراك على الحَرَامِيّينَ منها، وإعمال كُلِّ حيلة تنفع وتوصل إلى التشعيفِ بالمروءةِ[٣] مِنْ أهلها حتى تَحُوزَ مزيتها وتفوز بخصلتها ثم إنك لما انزعجت بالوُرُودِ، وَتَقَلَّقْتَ[٤] بالقدوم، ورأيناك تعتذر بالعرب وتشتكي منهم، وتتهربُ من خلطتهم، وَتَتَنَصَّلُ من حجتهم، وتتبرأُ من عهدتهم، صَدَّقْنَاكَ في ذلك ورددنا اللومَ عليهم، لاسيما حيث كنت[٥] هُنَا بين أيدينا، وتردد الكلامُ

---

(١) سقطت من ح والمعنى. مررت.

(٢) في ص الجفن.

(٣) في ص المردة.

(٤) في ص تلفت وهو الأصح والمعنى عجلت.

(٥) في ص نازعوك.

بينك وبينهم بحضرتنا، وكثيراً حين أمرناكَ بالرجوعِ للحركةِ، فطلبت الإقَالَةَ منهم، واعتذرت بهم، وبفعل الحَيّ[١] الذي كان أَمَامَكَ، وغضَضْنَا الطرف عنكَ حينئذ، وَظَنَنَّا أنك تندم على ما فات منك[٢]، وتكون وَلْهَتُكَ راجعة إلى تلك البلاد التي أتيتَ منها، وإذا اجتاز وقت الصَّيْفِ الذي اعتذرتَ به تقول: هذا وقتُ البلادِ التي كنتُ رَأَيْتُ وسلكت، وكنت معولاً على المقامِ بِهَا لولا إزعاجِ العرب إِيَّايَ بالقدومِ منها والرحيلِ عَنْهَا، وَهَا أَنَا قد تأهبتُ لها، وَهَيَّأْتُ جميع ما أحتاجه من زَمْلٍ وإقامةٍ وزادِ، أو غير ذلك من الأمورِ التي تزيلُ عنك بعضَ العجزِ، ولا أُحِبُّ مِنْ وَالِدِي يعذرني إلا فِي مسألةِ العرب، وغير هذا من الكلام الذي يزيل عنك العُذْرَ، فإذا بك مُنْذُ انصرفتَ وتوجهتَ ما رأينا من عندك كتاباً لا في هذا المعنى ولا في غيره، سوى الكتاب الذي وجهت لخديمنا عبد الحق[٣] بسبب قصبة والدنا مولاي الشريف رحمه الله، التي تَزَبْلَحْتَ[٤] فيها أنت والغنجاوي، وكنت حاضراً معه لبنَائِهَا، وأنت الوَاقِفُ عليهَا في الحقيقةِ، وأين كُنْتَ غائباً عنه في ذلك البُنْيَانِ الذي ظهر فيه ما ظَهَرَ فِي العام الثاني، وما زِلْنَا نَلُومُكَ أنت بسببِهِ، وَنُوَاخِذُ عليه المحجوب الغنجاوي، حتى وجهنَا له على شَأْنِهِ خديمَنَا عبد الحق، وقلنا له: أَلْحِقْ به وعاتبه وزنكه[٥] وخاصمه، وَأَرِيهِ براءةَ مولاي المأمون، وما كتبنَا له به على شأنِ القصبةِ التي حضر معك لِبنَائِهَا، وأمرناه أن يتكلمَ معه بكلامٍ كثيرٍ في هذا المعنى، وأين أَنْتَ عن مباشرةِ تلك القصبةِ، مَا عنيتَ[٦] عنها ساعةَ البُنْيَانِ لحظةً واحدةً من حَيْثُ ابتدَأْتَ من أَسَاسِهَا، وزدتَ مسألتها عن مسألةِ انزعاجك من الحركةِ، وَسُكُوتِكَ حتى عن ذِكْرِهَا منذ انصرفت، ولا قدرتَ حتى تُشِيرَ إلى شيءٍ مِنْ خبرِ تلك البلاد الصحراوية التي أتيتَ منها خوفاً أَنْ تُذَكِّرَنَا فيها، إلى أن كان خديمُنَا ابراهيم بن

---

(١) في ص الحر.

(٢) في ص فاتك.

(٣) أبو محمد السحيمي، كان صدر حملة أقلام السلطان، ناظمًا ناثرًا، انظر بشأنه إتحاف أعلام الناس ٧٠/٤، وزهز الأكم ص١٤٨.

(٤) تزبلحت بمعنى لهوت.

(٥) وبخه وخذ بتلابيبه.

(٦) في ص غبت.

حمو الكسيمي هذه الساعة، لَمَّا أَنْ أَفَاقَ[١] مِنْ مرضهِ، وَنَقَهَ مِنْ وَخَمِ مَصِيفِ وادي نون الذي أدركه هو وأصحابه الذين معه منذ انصرفوا، وعافهم الله تعالى، فصارت كتبه تأتي إلينا منذ نَقَهَ وصحَّ، وكان يعطينَا بها أخبار تلك البلاد من وادي نون إلى الصحراءِ، وينتظرُ في بَرَاوَاتِهِ جميعَ ما يعرف، أو نَبْحَثُ عنه، أو يَعْرِفُنَا أَنَّا نتشوَّفُ إليهِ، لاسيما خبر إخواننا المغافرة[٢]، وخديمنا عبيد بن إبراهيم الرحماني ومحلتنا التي معه، فأعطانا خَبَرَهُ وَخَبَرَ منازله، وأينَ هُوَ واجتماع إخواننا المغافرة معه، ومن جملةِ مَا كَتَبَ به في براواته التي أتتنا هذه الساعة، أَنْ أعطى خَبَرَ أولاد ادليم[٣] وما حَازَهُمْ إلى السانية وأحوازها هذه الساعة من جَذْبِ بلادهم من قربِ خديمنا عبيد بن ابراهيم مع إخواننا، وَتَزَحْزُحِهِم بالرحلةِ إثر الرحلة إلى قربِ بلاد أولاد ادليم، وقال لنا: واللَّهِ لو كان مولاي المأمون حين كان هُنَا وَجَدَ من العربِ الذين كانوا معه مساعدةً ومساعفةً (ووجد ما يقيم عليه هنا من الزرع الذي أخذوه وداسوه، ولم يحسنوا فيه تدبيرا شهرين آخرين[٤]) زيادةً على تلكَ الأَشْهُرِ التي أَقَامَ هُنَا حتى يكونوا أولاد ادليم تطَارَحُوا عليه، ودَخَلُوا بيدَيْهِ أحبوا أَمْ كرهوا، إلا أن العربَ لم يساعفُوهُ، ولا عاوَنُوهُ على مزيةٍ، ولا أرادوا له نتيجةً ولا فائدةً، وَكُلُّ ما نازعهم به مولاي المأمون بحضرةِ سيدِنَا نصره الله ما قال فِيهِمْ إلاَّ الحقَّ، ولا خاطبهم إلا بِمَا فيهم وبما فعلُوهُ، لأني كنت حاضراً لمنازعته معهم وشِكَايَتِهِ بِهِمْ، ولو اطلعت على بَرَاوَاتِ خديمنا إبراهيم بن حمو لقضيتَ العَجَبَ منها، ولا اسْتَحْيَيْتَ أنت من مطالعتها، وتحقَّقَ لدينا ما عَمِلَهُ هؤلاء العربُ مِنَ العجزِ والدَّنَفِ[٥] الذي هو فيهم كَامِنٌ، وكنَّا نَعْرِفُهُ نحن ونسترُهُ عن الناسِ ولا نبذل[٦] منه شيئًا إلى أن فَطِنَ له إبراهيم بن حمو من أقصى البلاد، ولا أَحَبَّ أولئكَ العربُ أن يستحيوا من اللهِ تعالى ولا مِنْ عَبْدِهِ الذي ألقى إليهِ اللَّهُ قِيَادَهُمْ وَقِيَادَ غَيْرِهِمْ، وقد ارْعَوَى الناسُ كلهم وأنابوا إلى الله سبحانه

---

(١) أيل.

(٢) قبيلة من عرب المعقل، تقيم بالصحراء المغربية، ينتمي إليها الاوداية، المعلمة ٧٢١٩/٢.

(٣) مجموعة قبائل سكان الصحراء المغربية، تتكون من أفخلد كثيرة، المعلمة ٩١٣/٣.

(٤) سقطت من ص.

(٥) الدنف بمعنى المرض المثقل.

(٦) في ص نبدي وهو الأصح.

وتابوا واطمأنواوسكنوا[١] وَهُمْ ما زالوا على حالتهم من الغش والضلال والفجور والبخل والجبن والنُّكُولِ حتى عن عدوهم، ولا أَحَبُّوا أن يستروا على أرواحهِمْ ولا أن يستحيوا[٢] مِمَّا صَدَرَ منهم، فكم من جنايةٍ ارتكبوها، وكم من مسألةٍ عملوها حين كانت تعجبهُمْ أرواحُهُمْ، ونُجُوعُهُمْ قوية، وأموالهم كثيرة، فما دخلوا حينئذٍ في طاعتي، ولا انخرطوا في سِلْكِ جماعتي، فليسوا وإن كانوا أقوياءَ حينئذٍ بالعربِ التي تَقْدِرُ على المُنَاوَرَةِ[٣]، ولا على المُدَارَاةِ ولا غيرها، لكن الخفةَ والطِّيْش والطيرانَ وشيوخَ السُّوءِ، وذلكَ المَرِيدُ الذي كانَ عِنْدَهُمْ، وتركنَا حَقَّ اللَّهِ فِيهِ هُوَ الذي كان زَاغَ بِهِمْ مَعَ شياطينهم الذين كانوا يُزَيِّنُونَ لهم ارتكاب الشرورِ، ويُدِلُّونَهُمْ وَيَدْلُونَهُمْ بالغرور، فتارة ينفرون هكذا، وتارة يطيرون هكذا، فكل نَجْعٍ منهم عَمِلَ عملاً وَفَعَلَ أموراً، ارتكبَ مناكرَ لو كنَّا نواخذُهُ بهَا لما بقيت منه عينٌ تَطْرُفُ، فَبَنِي مَحَمَّد وحدهم لا يخفى عن أحدٍ منهم ولا مِنْ غيرهم مساويهمْ إنْ أحصيناهَا ومسائلهمْ إنْ عَددناها، فلا يَحْمِلُهَا ديوانٌ حافظٌ، ولا يأتي عليها لسانٌ لافظ، وأصغرُهَا انصرافهم بِنَجْعِهِمْ لدرعة عند ابن عمك أحمد بن محرز[٤] عفا الله عنه بنفسِ انصرَافِهِمْ مِنْ عندِنَا ورجوعهمْ من حضرتنا، وقد كانوا لَقُونَا قُرْبَ مكناسة حاطها الله ونحن خارجون إذ ذاك لناحيةِ الكريك لَمَّا أَنْ كَانَ حَسَنٌ غَرَّتْهُ نَفسُهُ والعربُ، وَقَدِمَ إلى صفرو، فلقيني بَنُو مَحَمَّد بالطريق، ورددناهم إلى الخطيبِ فكسَاهُمْ، وأعطاهم وأرضاهم، فَمَا انصرفوا من عنده حتى حصلوا في درعة من حينهم ومن ساعتهم، وما رجعنا نحن مِنْ مسون[٥] وقصدنا سُوسَ حتى عثرنَا لهم على بَرَاوَاتٍ لا يلفظُ بِهَا مسلمٌ، ولا تصْدُرُ من مُوَحِّدٍ، وحين سمعَ ابْنُ عمك أحمد بن محرز عفا الله عنه بأَنَّا قَصَدْنَا سوس خَلَّفَ[٦] ورحلَ من درعةٍ كالهارب، وقصد تارودانت، وترك

(١) سقطت سكنوا من ح.

(٢) في ص ينأوا.

(٣) في ص المناوءة بدلا من المناورة.

(٤) الثائر المشهور على السلطان، ابن أخ السلطان لمرات عديدة بمراكش وسوس، إلى أن قتل سنة ١٠٩٦.

(٥) قرية قرب تازة على طريق وجدة.

(٦) في ص خاف وهو الأصح.

نجعهم بدرعة، وقد انصرَف معه الآلاف[١] منهم، وجميع من يعد نفسه شيخاً حتى حُوصِرُوا في المحيطةِ[٢]، وَكَتَبْنَا حينئذ لخديمنا موسى المانوكي[٣]، وقلنا له: إن بَنِي محمد عَمِلُوا وَعَمِلُوا وَفَعَلُوا وَصَنَعُوا، فَاقْتُلْ مِنْ كبارهم ومن أعيانهم ستينَ رجلاً، وعددنَا له منهم جماعةً، فوصلَهُ كتَابُنَا، فَعَمِلَ هكذا وهكذا، وَهَرَّبَهمْ وَأَنْذَرَهمْ، وكان وَلَدُ الزُّوغَر[٤] حَاضِرٌ هُنَالِكَ، فحين سمع بِمَا أمرنَاهُ بِهِ فيهِمْ خَاصَمَهُ، وقال له: حيثُ أَحْبَبْتَ أَنْتَ لاَ تظهَرْ مَعَ بني محمد[٥] فِي العَيْبِ اعْلمْنِي وَتَبَرَّأْ، وَوَلَدُ الزُّوغَر معه من إخوانه زِيرَارَة أربعمائة فارسٍ أو خمسمائة، فَوَاللَّهِ لو كانَ عنده عِلْمٌ بِهِمْ وَتَبِعَهُمْ لَمَا أَفْلَتَ واحداً منهم، وَعَمِلَ موسى المانوكي تلك العَمْلَةَ التي مَا رَبِحَ منها إِلَى أَنْ ماتَ على الحالةِ التي ماتَ عليها، وهو واللَّهِ تَالِفُ العَقْلِ، نسأل الله السلامة، وأما ذَوِي مَنِيعٍ [٦]فمسائلهم يعرفها الخاصُّ والعامُّ، بل كادت أن لا تخفى على أحد من الأنام، وآخرُهَا اجتماعهم بتابوبكارت، يضربُونَ الطَّبْلَ حين أتاهم سنان العلم[٧] بِبَرَاءَتِنَا، وقالوا: لا نقرؤُهَا إلا إذا أَتَانَا بها مولاي أحمدُ بْنُ الشرقي لسيدِي الغَازِي حين كانوا أخذوا إِبِلَ الأحلاف بزرزف، واشتركوا مع آيت عطا[٨] حتى أَغْزَيْنَاهُمْ عرب انكاد من وجدة، ومن بني سنوس[٩]، ومن أقصى البلاد حتى قتلوهم بالدورة[١٠] وأخذوهم، ومن تَمَّ لَمْ تَقُمْ لهم قائمة، ومع ذلك كله كنا نَصْبِرُ لهم ونراعي فيهم أحوالا، وتركنا فيهم حقوقا واجبة أوجبها الله

---

(١) في ص التلاف.

(٢) في ص حصلوا في المصيدة.

(٣) خديم السلطان، من الخدام الذين ساهموا في بيعة السلطان وبمعيته في حركاته وحروبه، زهر الأكم ص ١٧٤.

(٤) في ص الزونحر.

(٥) من قبائل تافيلالت الشهيرة رسائل بن منصور.

(٦) عرب من بني زغبة الهلاليين، قبيلة مخزنية كانت تمد السلاطين بالجنود والحاميات، رسائل بن منصور ص٢٥.

(٧) في ص العلج .

(٨) قبيلة عربية تبربرت، تقيم بين وادي درعة ووادي غريس رسائل بن منصور.

(٩) قبيلة بربرية تعربت، وهي إحدى قبائل شراكة نفسه.

(١٠) وادي شهير جنوب تافلالت نفسه.

عليهم، ووالله لقد خَشِينَا من الله سبحانه أن يطالبنا بِتَرْكِهَا فيهم، ونرجو منه أن يسامحنا فيها، لأنا والله ما تركناها فيهم إلا بوجه يَقْبِلُهُ اللَّهُ منَّا، فما خافوا من الله تعالى، ولا من عبدِهِ الذي وَلاَّهُ اللهُ أَمْرَهُمْ، ولا عرفوا وجهاً من وجوهِ الخوفِ، ولا من وجوهِ الحياءِ، ولا رعوا شيئًا تفكر في أرواحنا، وفي ما صَدَرَ منا، لأن كُلَّ نجعٍ منهم صدرت منه أمورٌ لا تتحملها الخلافةُ، ولا تتجَاوَزُ عنها السياسةُ، فما عرفوا شيئًا من ذلك، ولا عرفوا ما أوجب الله عليهم من الدخولِ في ربقةِ الإسلام، ولا أَنَّ في الخروجِ عنها قَيْدَ شِبْرٍ الإتيان عليهم شرعاً وطبعاً، وبقوا يطيرون وينزلون، ويطلعون ويهبطون، إلى أن ضعفوا وَبَادُوا، وصاروا تَوَاوِيجَ[١] مَحَاوِيجَ، وهنالك انقادُوا إلى الحق رَغْماً منهم، فأين من يتعِظُ إذاً وَيَنْسَى ما فَاتَ له وَصَدَرَ مِنْهُ، بل صرنا نحن نستُرُ على مساويهم، وَنُخْفِي أمورهم، ونأمرُهُمْ بالغزو، ونطلقهم على عدوهم بالكف، رَجَاءَ أن يصحوا أو يَرْجِعُوا إلى قُوَّتِهِمْ التي كانوا عليها، ولا نطالبهم بشيءٍ ممَّا وجبَ عليهم في أموالهم، ونقول: هؤلاء العربُ حيث لم يكونُوا رواتبيةً[٢] ولا هُمْ معدودونَ في جيشٍ، فكل ما بقي فيهم من الواجبِ الذي حَرَّمَهُ الله عليهم في إِبِلِهِمْ وماشيتهم يحسب لهم في راتب حركة إن حركوها، أو في سريةٍ إن ضربوها، وهكذا، فصاروا مهما نأمرهم بالغزو أو نُنْهِضْهُمْ لعدوهم وَعَدُوا الذين يعملون معرةً وخزيةً، ويحصلون شَمَاتَةً[٣]، فلقد نَهَّضْنَاهُمْ وحدهم لغزوِ أولاد ادليم فما ضيَّعُوا[٤] أرواحهم حَتَّى انفردوا وَشُوَيْخَاتهمْ إلى الزَّحَلِ، وخلصوا فِيهِم تلاف أولاد ادليم، وما أَفْلَتَ إلا من كان متأخراً مَعَ النَّجْعِ، وَأَنْهَضْنَاهُمْ مع أخيك أبي النصرِ[٥] أصلحه الله، فَعَوَّلُوا على خزيةٍ أعظمَ مِنَ الأُولَى، لولا ما رَأَوْا منْهُ من الجِدِّ في إيقَاعِهِ بِالغَنَانِمَة[٦]، وأنهضناهم معك هذه المرة فَهَا أَنْتَ رأيت دَنَفَهُمْ وعجزهم وبخلهم وإفسادهم الزرع الذي وجدْتُمُوهُ وعدم ضَبْطِهِمْ له حتى وَجَدُوهَا سبباً للرُّجُوعِ،

---

(١) تواريج.

(٢) يتقاضون رواتب.

(٣) في ص شموتية.

(٤) في ص صنعوا.

(٥) من أبناء السلطان حمره على الصحراء وتارودانت، المنزع اللطيف ص٢٢٩.

(٦) قبيلة مخزنية تسكن وادي الساورة جنوب بشار، وهي من قبائل الكيش رسائل بن منصور.

ولو كانوا صبروا وعرفوا كيف يجمعون( بمعاذر ذوفلل)[1] ذلك الزَّرْعَ وخزَّنُوهُ وبقيتم شهرين لَعَمِلْتُمُ المزيةَ، ورجعتم بكل خصلةٍ، فانظُرْ مسائلَ هؤلاءِ العربِ أين آلَ حالهم، وأيّ شيء يصلحون له، فكم من مسألةٍ صدَرَتْ منهم وصبرنَا لهم فيهَا، وكم من حقٍ تعيَّنَ فيهم وَجُزْنَاهُ لهم، وليسوا بمعدودينَ في جيشٍ حيث يُلْتَمَسَ لهم عُذْرٌ، ولا بمحسوبينَ في ديوانٍ حتى يأكلوا مَالَ اللَّهِ الواجب عليهم بوجهٍ من الوجوهِ التي صَبَرْنَا لهم فيها، وتركناه فيهم لأجلها، فَهَاهُنَا في العربِ قبائلٌ شتى هُمْ أكثَرُ منهم عدداً، وأشرَفُ منهم نسباً، هَاهُمْ يعطون الخراجَ وَيُؤَدُّونَ الضريبة، وتلزمهم الحقوق، فإنَّ من لم يغْزُو ولم ينهَضْ ولم يكُنْ رَوَاتِبِياً ولا جندياً فليس هو إلاَّ منْ أهلِ الأدَاءِ وإعطاءِ ما وجب عليه، لاسيما أهل الكُرَاعِ[2] أمثالهم، ففيهِمْ حَقُّ اللَّهِ ظاهرٌ وواجبٌ متعينٌ، وَعَلَى أمثَالِهِمْ من العربِ أهل الكُرَاعِ فرض سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقةَ الزكاة، وأمره الله تعالى بقبضها منهم، فقال: خذ من أموالهم صدقةً تطهرهم وتزكيهم بها، وقد قَرَنَهَا الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم مَعَ الصلاةِ، وهي من قواعدِ الإسلام الخمسِ التي بُنِيَ عليها، وهذا من المعلوم من الدِّينِ ضرورةً، وبسبب منع العرب إيَّاهَا قاتلهم خليفَةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي ما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيئين والمرسلين على أفضل منه، وهي سَبَبُ رِدَّةٍ من ارتد من العرب، حتى قال له سيدنا عمر رضي الله عنهما: كيف تفعلُ شيئًا لَمْ يفعَلْهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لِتُقَاتِلَهُمْ عليه، فأجابه بقوله: وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وهي قرينَتُهَا في كتاب الله، وهذا الخَرَاجُ المُوَظَّفُ اليوم على هذه القبائل هو شيءٌ من هذا المعنى، فأهل الزراعة يعطون أعشار الزرع، وأهل الكُرَاعِ يعطون زكاة الكراع، وأهل البقر كذلك، وأهل الشاة كذلك، وَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أن من وجبَ عليه شيءٌ كان يُبْرِي ذِمَّتَهُ مع الله تعالى ما زاد أحدٌ على ما هو مفروض شرعاً، لكنَّ الناسَ دخلَتْهُمْ أمورٌ، وَتَحْدُثُ للناسِ أقضيَةٌ بقدْرِ ما أحدثوا من الفُجُورِ، وأولائك العرب الذين معك بتافيلالت ما كُنَّا تركنا فيهم الحقوقَ إلا من أَجْلِ ما ذكرنَا، وَكَيْ تُحْسَبَ لهم في رواتبهم حين كانوا ينهضون ويغزون، واليوم هذه المزايا التي كنا نُحِبُّهَا

---

(١) سقطت من ح.

(٢) الكراع أهل الماشية.

منهم ونلقيهم إليها ليسوا عندها، ولا من رجالها ولا من أهلها، وأنت لم يَكُن عندك نُهُوضٌ، وإن نهضتَ فلا تنهض معهم وَلاَ بِهِم، فإنك إن نهضتَ لا يُخْلِصُونَ أبداً ولا يعملونَ لك مزيةً، ولا يزينونَ لك وجهاً، فجلُوسُكَ في حَالِكَ وَعَدَمُ تشوفك إلى شيءٍ من هذه الأمور أَحْسَنُ وأحسنُ لك، وإِعْطَاؤُهُمْ الملازم والحقوق الواجبة أولى لهم وأرفقُ بهم، لأنا انتظرنا أن تكونَ لهم هِمَمٌ أو مزايَا يستوجبونَ بها تركَ الحقوقِ فيهم، وبالمسامحةِ لهم فيها، فما عَمِلُوهَا قَطُّ، وهذه التَّفْتَفَةُ[١] التي تقبضها منهم هكذا وهكذا هُمْ يَحْسِبُونَهَا عليك، والأشياخُ يأكلونها ويسبونهم[٢] بِسَبَبِكَ، ولا يصلك منها شيءٌ له بَالٌ، لا تليق بك معهم، ولا تقصر[٣] لك غرضاً، فاجعَلْ عليهم وظيفاً معلوماً، وقدراً مسنوناً يعرفونه ويحققونه، فما يصلحُ بهم إلا أن يكونوا من أهلِ الخَرَاجِ الذين يعطونَ وَاجِبَهُمْ كلَّ سَنَةٍ، حتى يكون كل واحدٍ منهم عارفاً بما يَجِبُ عليه في المالِ[٤] أو الشاةِ أو غير ذلك، وحتى يكون الذي يلزمه يعرفه ويسميه ويُعْطِيهِ من جميع ما يحتكرُ به أو يتسبب فيه، ويعرف كبيرهم وصغيرهم وظيفة اللازم له على الكُرَاعِ أو على العَنزِ أو على الجملِ أو المالِ أو غير ذلك، وهذا الحَقُّ هو الواجبُ عليه فلا تتركه منهم، فإذا وَصَلَكَ كتابنا هذا أعزه الله فاجمع لِقِرَاءَتِهِ وسمَاعِهِ جَمِيعَ منْ يُشَارُ إلِيْهِ منهم، ومن أعيَانِهِمْ وخاصتهم، صباح وبني محمد، واقرَأْ عليهم كِتَابَنَا هذا أسمَاهُ اللهُ حتى يعرفوه ويتحققوه، ويتقرَّرَ عندهم هذا الكلامُ الذي أمليناهُ عليكَ، وهم المُخَاطَبُونَ بِهِ في الحقيقَة وَقَسِّطْ عليهم ما يَجِبُ من حق الله تعالى، ولا تُضَيِّقْهُ عندهم، ولا تخله فيهم، فإنك إِنْ تركته فيهم فقد تركتَ واجباً، والواجبُ لا يُتْرَكُ، فإذا دَوَّنْتَهُ وعرفته وقسطته، وعرَفَ كُلُّ واحدٍ منهم ما يَجِبُ عليه في شَاتِهِ أو نَاقَتِهِ أو مُتَمَوَّلِهِ، كيف ما كان يُعْرَفُ تقبضهُ وأينَ يُصْرَفُ، وأما تَرْكُكَ إِيَّاهُمْ على هذه الحالةِ، بحيثُ الخراجُ ليسوا محسوبينَ منه، والواجبُ لا يعطونَهُ، فَالمَلاَمُ راجعٌ إليكَ، والعهدةُ في ذلك عَلَيْكَ. وكذلك تافيلالت التي ضَعُفَتْ في يدك وما كنت تدري ما يلْزَمُ أهلها ولا ما ينُوبُهُمْ في المسائل الدقيقةِ والأمور الصغيرةِ،

---

(١) التفتفة بمعنى المال القليل.

(٢) في ص ينهونهم.

(٣) ولا تقض في ص.

(٤) في ص الناس.

كخدمة الفصة، ومكاسين الخدامين، ونصافات الأشياخ، ومزونة المشعال[1]، وغير ذلك من الأمورِ التي توكل بِسَبَبِكَ وتنسبُ إليك، فَتَفَقَّدْ أحوال تافيلالت، وَبَاشِرْ أمورها بنفسك، واعْدِلْ فيهم، واعْمَلْ لهم قانوناً مليحاً، وضابطاً صحيحاً، مثل ما كان في عهد عمك مولاي محمد رحمه الله، وَاعْرِفْ ما يلزم كُلَّ واحدٍ من أهلها، وقدر كل واحدٍ منهم وما ينوبه، فالتي هِيَ في مستحقها اعْرِفْهَا، والتي لَيْسَتْ في حقها كذلك اتْرُكْهَا وَأَنْكِرْ على فاعلِهَا حتى يكونَ جميعُ ذلك نَصْبَ عينيكَ، وَمُشَاهَداً عندك، وحاضراً بين يديك، فإذا أعطى أحدٌ موزونةً تعرفها وَتَعْرِفُ بِأَيِّ سببٍ وأَيْنَ صَارَتْ، ولا يغيبُ عنك من أمرِ تافيلالت شاذةٌ ولا فادةٌ، وأما هذه الجريةُ على هذه الصورةِ، الجَارِي يقبضُ مِنْ جهةٍ، والشيخُ يَنْتِفُ مِنْ آخرى، والخديمُ كذلك شبه المَكْسِ، فلا نقبلْ سَمَاعَ ذلك، ولا نصبر لَكَ فِيهِ، وباللَّهِ الذي لا إله إلا هو إِنْ لَمْ تَقُمْ على ساق الجد وتحتزمَ غايةَ الحزمِ في ضبطِ هاتين المسألتين، وتدوِينِ هذين الأمرينِ الذينِ أمرْنَاكَ بِهِمَا من تقسيطِ ما يجب على العربِ وتدوينِهِ وإِعْمَالِ النظرِ في أهلِ تافيلالت، وضبط مسائلهم الضَّبْطَ الذي لا يبقى لك معه شيءٌ، ولا يَدْخُلُ معك فيهِ لَبْسٌ، ولا يتظالم منه أحدٌ، ولا يشتكي منه بَشَرٌ، ويكون ذلك على الوجهِ اللائقِ الذي يُرْضِينَا، والقَانُونِ الذي يعجبنا، حَتَّى نَبْعَثَ لَكَ مَنْ يعزلكَ وَيَتَوَلَّى مَوْضِعَكَ، وَأَحْلِفُ عليكَ لاَ رأيْتُ لك وجهاً[2] أبداً إِنْ شاءَ اللَّهُ، وأنتَ أَخبر. والسلام.

وكتب في ٢٤ رجب الفرد عام ١١١٠هـ .

إلحاقُ نَصِّهِ: وَكُلُّ ما يقوله لك حاملُهُ خديمنا السيد عمر الزيزي، فَثِقْ بِهِ فقدْ أوصينَاهُ بِهِ زيادَةً على هَذَا، وهو مِنْ أشيَاعِنَا، فَاعْرِفْ لَهُ ذلكَ، واستوصى به والسلام، وَكُتِبَ في تاريخه.

---

(١) في ص المثقال.

(٢) في ص وأحلق لك وجها.

# [الرسالة الثالثة]

إلى المأمون، بعد السلام عليك.

فاعلم أننا كنا نَتَوَسَّمُ فيك مسائلَ كبيرةً، وأموراً كثيرة، وكنا نظن في جانبك من النجدة والفائدة والنتيجة والضبط وعلو الهمة وكبر النفس والصبر والنجابة والإمتثال لما نأمر به، والتحافظ على ما نوصي عليه، ما ليس في إخوتك، ومن أجل ذلك كَبَّرْنَاكَ عَلَيْهِ منهم، واخترناك للولاية دونهم، ورأينا أن تلكَ البلاد تافيلالت كما قلنا لك غير ما مرة بلادٌ متسعةٌ كبيرة، ولها أعمالٌ، وبها منافعٌ كثيرة وهي قاعدةٌ من قواعد هذه الأقطار المغربية. وقد كانت في القديم دارَ الإمارة، ومنها كانت تتوجه الأوامر والنواهي، وتنبعث البعوثُ وتخرج أصحاب الولايات إلى أكثر كور[١] المغرب، وقد جمعت بين طيبِ الهواء وكثرة الخيرات، وتوسطت بجميع تلك النواحي والجهات، فهي محَطُّ رحالِ الرفاق، من جميع الآفاقِ، ولابد لجميع تجار السودان وغيرهم من البلدان منها.

وأهل تلك الجهة كلهم متوقفون عليها، ولا محيصَ لأحدٍ عنها، فولايتُهَا وَحْدَهَا يجعَلُ منها الرجلُ الحازمُ الجيشَ والعيشَ، لاسيما إذا كان صاحبها يتصرَّفُ في تواتٍ وفي تكررين[٢] وفي درعة، ويمُدُّ يدَهُ في تلك النواحي[٣] وفي غيرها، ومع ما فيها من كثرَةِ المنافع والمرافق والمصالح، فهي مقَرُّ أسلافنا رحمهم الله ومستوطنهم وقد سَكَّنَّا بها من إخوتك مَنْ عَلِمْتَ بها، ومن أقاربنا وجماعتنا من تعرف، واشترينا بها من الأصولِ ما لا يخفى عليك، وقلنا: إذا بارك الله في جريتك، وأصلح سيرتك وسريرتك لاَ نَجِدُ لها أحسَنَ منك، ولا يكفينا في تلك المسائل المهمات التي لنا هنالك إلا أَنْتَ، ولا يجمع لنا بين ضبط ذلك البلاد وأحكامها ومعاشرة أهلها أَحَدٌ غيرك.

وأضفنا لك بلاد الفائجة وبلاد درعة وبلاد توات وبلاد تكرارين، وجميع ما اشتملت عليه هذه البلدان من العربِ والبرابرِ، وَأَقْصَرْنَا النظر في جميع تلك النواحي[٤] عليك، ثِقَةً منَّا بك، وبما نؤمله فيك من الخير، وقلنا أنك إذا رأيتنا كبرناك على إخوتك،

---

(١) في ص كورة وهي الصقع، وهي لفظة أندلسية تدل على المقاطعة..

(٢) بمعنى كورارة أحد أقاليم الشرق المغربية.

(٣) في ص الفوائج.

(٤) في ص الفوائج.

وخيرناك على بني أبيك وأقاربك تعرف مقدار تلك السيادة، وتعمل للولاية شروطها، وتجعل للمزِيَّةِ حقَّهَا، وتنهض نهوض رجلٍ حازمٍ، وتتشوف للمسائل الكبار، وتطمَحُ بك نفسُكَ إلى تمهيدِ الأقاليم والأقطار، وتضرب نفسُكَ في القَالَبِ الذي توَسَّمْنَاكَ به، وَتَتَرَامَى على البلدانِ الشاسعةِ، وَتُكَاتِبُ عرَبَ القبلةِ، وعرب تنبكتو، وعرب تَغَازَى، وتراسل ملوك السودان، وتخاطب جميع تلكم البلدان، وتكون عيُونُكَ مبثوثةً في جميع تلكم النواحي، حتى تعرفَ كُلَّ قبيلةٍ قبيلةٍ وما هي عليه، وتعْرِفَ بلَدَ كُلِّ رئيسٍ وما هو عليه، وإذا رأيت أحداً من عرب تلكم النواحي حَادَ عن الطريق تنظُرُ إمكَانَ الفُرْصَةِ فِيهِ، وتنتهزها منه وتصحبه أو تغاديه في أيّ بلادٍ كان، ويكون عندك لذلك إقامةٌ كبيرةٌ من زَمْلٍ وآلةٍ وَمِيرَةٍ وزادٍ وجميع ما تحتاجه، بحيْثُ إذا أَحْبَبْتَ الغَزْوَ لا تتوقف على ما يشغلك عنه في وقته، وإذا وَقَعْتَ بعربٍ بعيدةٍ الوَطَنِ منك ثلاَثَ مرات أو أكثَرَ فإنَّ العربَ كُلَّهَا تهَابُكَ، وتعمل بحسَابِكَ، وتخافك وتهاديك، وتكْثِرُ التردد عليك، وتتصرَّفُ في قاصيهم ودانيهم بكُلِّ ما أحببته منهم، فيبعد بذلك صيتك، ويتقوى حسُّكَ، وتعلو همتك، وتقصد بَابَكَ الوفودُ وتعمر بلادك، وكذلكَ بلادُ الفَائِجَةِ، فلو كنتَ رَجُلاً ما تَقْنَع تُوَجِّه إليها محمد بن كريم، وَهُوَ لا يعرفُ كيف يدخل ولا كيف يخرجُ، ولا مَنْ يعطيه ومن يقبضُ منه، ولا يعرِفُ كيف يخاطب النَّاسَ إلا بما يخاطبهم به، ولا يحسِنُ التدبيرَ حتى في أمرٍ من الأمورِ، وَهَلْ مثلُ محمد بن كريم يكون عاملاً على الفائجةِ، فالفائجةُ بلادٌ كبيرةٌ، وبها قبائلٌ كثيرةٌ، وإلى الآن ما سَلَكَهَا مَنْ قهرها، ولا دخلها من دَوَّخَهَا، ولا أعطَتْ أهلُهَا أيديهم لِلجِبَايَةِ.

وَوَلَدُ كريم يَشِيرٌ[1] حيث ما مارس برهةً مِنَ الزمان، ولا جَازَ عليه شيءٌ من الحَدَثَانِ، وإصلاَحُ الرعيَّةِ بصلاح العاملِ، فالعاملُ إذا كان كيِّساً عارفاً مجربا حازما عاقلاً أَوَّلُ ما يقدِّمُهُ السياسة والتمهيد ومعرفة القبائل، وما عليه أهل البلاد التي يقدم إليها، ويتكلَّمُ مع كلِّ قبيلةٍ بما يليق به في جانبِهِمْ، ويخاطب الناس على قَدْرِ عقُولِهِمْ، وعلى ما يقتضيه الحَالُ منهم، وينظر إلى صلاح ضيْفِهِ، ولا يشتغل بالطمع ولا بالجباية إلا مِنْ بَعْدِ أن يَسْتَوْثِقَ بإصلاحِ البلاد، وبتمهيدها في المرة الأولى بكيفية إذا كان ضعيفاً سلوكها، ومعرفة أهلها والقدوم بهم على سَيِّدِهِ.

---

(١) بمعنى ولد صغير.

وإذا أَلِفُوهُ وَأَلِفَهُمْ ورجع إليهم فيبْدَأُهُمْ بالتدريج شيئًا فشيئاً، حتى يُصَيِّرَهُمْ رعيةً، وإذا كان قوياً وأمكنه التمهيدُ وساعده الوقت فالبلاد التي يحلُّ بها لا يَرْتَحِلُ عنها، يُدَوِّخُهَا[١] ولا يترُكُ بها من يَرْفَعُ يَدَهُ لرَأْسِهِ، ويجتاز حينئذٍ منها إلى غيرها، فيجعل لها مثل ذلك إِنْ أَحْوَجَتْ إليه، ومحمد بن كريم لا يَثِقُ بِهِ الرَّجُلُ حتى في حضَاءِ[٢] حصَانِهِ ورعايةِ دارِه، فضلاً عن دخوله لبلاد الفائجة، وإسنادِ أمرها إليه، فمثله إذا دخل بلداً لاَ يَزِيدُ أهلَهَا إلاَّ جسارَةً وقسوَةً، فَهُوَ في نفسه لا يعرِفُ شيئاً.

وَزَادَ على ذلك أنه لا يأخذ كلاَمَ غَيْرِهِ، فذلك التَّمَنَارِي خديمُنَا وحيث كَلَّمَهُ وأشارَ عليه يكون عملَ بإشَارَتِهِ ورَأْيِهِ، فانظُرْ ما كتب لنا به التمناري وطالعه، وَقِسْ بِهِ قيادةَ ابنِ كريمٍ، وتأَمَّلْ هَلْ أنتَ مِنَ الرجالِ الذين يَسُوسُونَ الأقاليمَ، أو من الذين لا يحسنُونَ التدبيرَ حتى في أنفسهم، فَلِلَّهِ أَرِنِي أَيَّ مَزِيَّةٍ عَمِلْتَهَا، وأَيَّ خصلةٍ نجَّمْتَهَا، ومتى تظهر فائدَتُكَ، وعلى أَيِّ شيءٍ نَزِيدُكَ وادي درعةٍ وهي بلادٌ مستقلةٌ تحتاجُ وحدَهَا إلى قائدٍ كبيرٍ، يعمَلُ منها الجيْشَ، ويحيى منها وَاجِبَ بيتِ المال عَمَّرَهُ اللَّهُ.

فنحن ما أعطيناكَ درعةَ تجلِسُ في تافيلالت، وَتُوَجِّهُ إليها من أولئك الأوباشِ الذين معك من يَنْتِفُهَا، عشرَةً يأكلُهَا لنفسِهِ وواحدةً يأتيكَ بِهَا، ولا تسأله كَمْ قبض وَلاَ ما عمل، فما أعطينَاهَا لك إلا أننا ظَنَنَّا أنها إذا كانت في يَدِكَ تَسْتَحِي على نَفْسِكَ، وتقول: إن صاحبَ ولايةِ هذا البَلَدِ لاَ يُحْمَلُ به الاقتصَارُ عليها ولا مراعَاةُ دَاخِلِهَا وخارِجِهَا، وقد جاءت واسطة لجميعِ هذه الفَوَائِجِ المواليَةِ لها، وجميعُ من كانت يده عليها كان أهل هذه الفوائج في يده يتصَرَّفُ فيهِمْ كَيْفَ أحبَّ، تُحَدِّثُ نفسَكَ بهذا وَتَهْتَمُّ بِهِ وَتَعْمَلُهُ.

فبالأمسِ كان بتافيلالت عمُّكَ الذي كانت له هِمَّةُ الملوكِ، وفيه نخْوَةُ الشَّرَفِ، اتَّكَلَ على الله سبحانه وقام لهذا الأمرِ بنفسِهِ، واشتغل يجْمَعُ عليهِ الرِّجَالَ ويخَاطِرُ وَيَتَرَامَى على الحصونِ ويقتَحِمُ الأمورَ العظامَ، وَيُوَالِي على أصحابِ بُودْمِيعَةَ[٣] الحروبَ، ويقاتلهم على قِلَّةِ من كان معه، إلى أن أخرجهم من تافيلالت، وناهضهم في درعةٍ حتى استَقَلَّ بهما معاً لنفسِهِ، وكانت البلادُ إذ ذاك عامرةً، وقبائلها وافرةً متكاثرةً، وكان أَهْلُ

---

(١) بمعنى يجوبها

(٢) بمعنى حراسة أو محمية

(٣) أبو حسون السملالي، زعيم إمارة إليغ المعروف ببودميعة.

الفائجة على ما هم عليه من الصِّحَّةِ لا يأتي أحدٌ منهم لدرعةَ إلا بِمَطْلَبٍ في يدِهِ، والزيني يعد بعشرةِ آلاف رَامٍ، والزانيفي يجمع عليه أزيد من عشرين ألفاً. وكانوا كلُّهُمْ يخافُونَهُ ويعملونَ بحسَابِهِ وَيُدَارُونَهُ، وسقى كلَّ واحدٍ منْهُمُ الحَنْظَلَ، وأقعَدَ كلَّ كلبٍ عنْدَ رَأْسِهِ، وتماطى لكل بلَدٍ، والعربُ على بُعْدِ مواطنها، وكثرة عدَدِهَا وقوَّةِ عدَّتِهَا، كان لا يثني دون حللهم عناناً، ولاَ يَهَابُ بلداً ولا أوطاناً، ويغزوهم في مرَابِعِهِمْ ومشتَاهُمْ ومصائِفِهِمْ في الحرّش والقَرّ، حتى أخافهم ودوخهم، وأتوه ما بين راغبٍ وراهبٍ، وعمل في تلك البلاد الَّتِي أَنْتَ بِهَا الجَيْشَ والعَيْشَ، وعملَ بيت المال، وكسب أحرَارَ الخيلِ، واذَّخَرَ الذخائرَ النفيسة، وجُلِبَتْ إليه الحوائج المثمنة، وبَنَى وصنعَ مآثراً يَعْجِزُ عنها كبارُ الملوك، فإن كنت لم تعرف ذلك فَسَلْ عنه من يُخْبِرُكَ، فهنالك كثيرٌ مِمَّنْ شَاهَدَ ذلك.

وابْنُ عَمِّكَ أحمد بْنُ محرزٍ دخل درعةَ وهو خائفٌ مِنَّا، متوَجِّسٌ لأخبارنا، فما مكث بها شيئًا ما حتى استخْدَمَ منها التَّغَازَى، وتوَصَّلَ منها للفَائِجَةِ ولسوسٍ ولغير ذلك، مع هروبه مِنَّا وكثرة مراعاته لنا، فَأَيُّ شيءٍ عَمِلْتَهُ أَنْتَ وقدْ جَمَعْنَا لك تافيلالت وفوائجها وأعرابها، ودرْعَةَ وعربها وبربرها، وتوات وتكررين، وأَطْلَقْنَا لَكَ يَدَكَ في كلِّ تلكَ الجهة.وأَيّ مزيةٍ نراعيكَ لأجلِهَا مع كَوْنِ والِدِكَ في أكتَافِكَ، وعليه من فضلِ اللهِ ما لا ينكره أحدٌ، والوقتُ والحمدُ لله مساعدٌ، وكلُّ من تَحَرَّكَ في مسألةٍ يُزَيِّنُ اللهُ عليهِ فيهَا، فحيثُ رأيتَنَا أعطيناك بلادَ درعةٍ تكُونُ أتيتَنَا وبدَأْتَنَا بالكلامِ وتشَاوِرُنَا على بلادِ الفائجة، وعلى ذلك المَشْمَسِ وَتسْرِيرتْ وغيرها من تلك الجهة. وتتكلم معنا فيما يخُصُّكَ وتقُولُ لَنَا: إن تلك البلادَ التي وَلَّيْتَنِي هيَ مواليةٌ لبلدان من عمالتها، ووَاجِبُ بيتِ المالِ عمَّرَهُ اللهُ ضائعٌ فيهَا، وأكثرُ أهلِهَا لا تجري عليهم الأحكامُ الشرعية، وقد أحببت أَنْ نَتَّكِلَ على اللهِ ونجمَعَ على عربِ الصحراءِ كُلِّهَا وأهل الفائجة ومن وَالاَنِي من البَرْبَرِ، ونجعل محلةً كبيرةً، ونتوجه بها لذلك المَشْمَسِ ولتلك الفائجَةِ، ومن هنالك يظْهَرُ لنا الحَالُ في بلدِ تَسْرِيرتْ، وتطلُبُ منَّا الإِذْنَ في ذلك، وتقول: يخُصُّنِي كذا وكذا، وتقول لنا: إن درعةَ في يدنا ومنها إن شاء الله أقوَاتُنَا، وتسَهِّلُ عَلَيَّ بلسانك أَمْرَ تلك البلاد. فإذا كلمتَنَا بهذا الكلام، وأظهرت لنا الرغبةَ فيهِ نعتقِدُ فيك الخيرَ والعمارة، ونعرِفُ أَنَّكَ رجلٌ وأنك بلغْتَ مبلغَ الرجالِ، وأن نفسك تَاقَتْ بك إلى المسائلِ الكبارِ التي نريدُهَا منك، ونعطيك كل ما تحتاج إليه من الخيلِ والرماةِ والأخبيةِ وَالزَّمْلِ، ونأمرُ العربَ

يحملُونَ لك هرى دبدو وهرى زا، ونجمعُ عليكَ محلةً نَثِقُ إن شاءَ اللهُ بظفَرِهَا وتأييدها، فكان من حقك أن تكونَ هكذا، فإذا بِكَ بعيدٌ من هذا كُلِّهِ، باردُ الطبعِ، ضعيفُ الرأْيِ، بطيءُ الحركةِ، ثقيلُ النهضَةِ، خامدُ القريحَةِ، لا تلتَفِتُ إلى شيءٍ من ذلك، ولا تسقط على ظِلِّكَ، ولا تحقر إلا ما تحت يدك فَحَتَّى البلاد التي أنت بها ما أحسنت فيها سيرةً، ولا أحكمتَ فيها تدبيراً، ولا ضبطتَ فيها صاحباً، أنت تَنْهَبُ فِيهَا من جهَةٍ، وأصحَابُكَ يَنْتِفُونَ من آخرى، وكلُّ واحدٍ يعملُ ما أَحَبَّ، فأَقَلُّ شيءٍ الذميونَ يجتمِعُونَ من غريسٍ وفركلةَ ومذغرةَ ويأْتُونَ إلينا شَاكِينَ بِكَ، وبما يجري عليهم من جانبِكَ، فتباركَ الله، فيهُودُ مدغرة حيثُ كان بها أَخُوكَ نقُولُ: إنَّنا لَمْ نُكَلِّفْكَ بهِمْ، ويهودُ غريسٍ وفركلةَ، فَمَا تقُولُ في شكَايتِهِمْ، وكيفَ تعتذرُ عنهم، ولو عرفوا أنك تنْصُتُ إلَيْهِمْ وترْفَعُ الضَّرَرَ عنهم أَتَرَاهُمْ يَضْرِبُونَ عنكَ ويأتُونَ إلينَا من تلك البلاد إلى هذه. وَلَكِنْ مَنْ يَتَسَاقَطُ على قتلِ اليهودِ من غَيْرِ موجبٍ شرعيٍّ لا يكون إلاَّ كذلك، فَمِنَ اليوم الذي قتلت ذلك اليهودي عرفتُ أَنَّكَ ساقطُ المروءَةِ، ليستْ لك همةٌ، وهل اليهود الذين يكونون تحت الذمة يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون، فالرجلُ لاَ يَرْضَى بقتْلِ مَنْ لاَ مزيةَ في قتله، ولا أجرَ في مودته، واليهودُ في الذمة لا يَحِلُّ قتلُهُمْ ولا نهْبُ أموَالِهِمْ، ولا يقتَلُ منهم إلَّا من قتَلَهُ الشرعُ، ولا تُؤْكَلُ أموالُهُمْ إلا بموجبها، فأنت الذي تُزَاحِمُ اليهودَ لا تحسنُ تدبيرَ المملكة ولا ضَبْطَهَا، ولا تعرف ما تقبض ولا ما تعطي، وليستْ فيك قابليةٌ للتصرُّفِ الذي نريدُهُ منك، وقد اختبرنَاكَ المرَّةَ بعد المرَّةِ، وكاتبناكَ وخاطبناكَ وهددناكَ ووبخناكَ وأنذرناكَ وحذرناكَ ونبهناكَ وأرشدناكَ وكلمناكَ مشافهةً منَّا إليك، وفي كل مرةٍ ومع كلِّ رسولٍ، وفي كل كتابٍ وعلى كل خصومةٍ، نقول: إنكَ تَقْلَعُ عمَّا أنتَ عليه، وتنبذُ ما لا يَعْنِيكَ وراء ظهرك، وتشمِّرُ أذيالَ رخوتك، وتقف على قدم اعتنائك، وتحتَزِمُ لِمَا أنت بصدده، وتشتغل بالجِدِّ، فمَا رأينَا فِيكَ شيئًا من ذلك، فكُلُّ مسألةٍ إذا بحثْنَا عنْكَ فيها نَجِدُكَ بعِيدَ المعنى منها، واللَّهِ قَطُّ ما كَانَتْ مسائلُكَ تُشْفِي لنا الغليلَ في أحكامٍ ولاَ في تصرُّفٍ، ولا في ضبطٍ ولا في سدادٍ، ولا في رأيٍ ولا في جمعٍ ولا في منعٍ.

وهذه مسائلُ الدِّينِ وأمورُ المسلمين قلَّدَهَا الله لنا فضلاً منه وامتناناً، والله حتى أَعُضَّ عليها بنَوَاجِذِي، ولا وَلَّيْتُ أحداً منها شيئًا إلا الذي يُعِينُنَا على حَقٍّ من حقوقِ الله، ويقوم لنا بوظيفٍ كبيرٍ نَثِقُ به فيه، وأما أنت وأشبَاهُكَ الذين يركنُونَ إلى الراحات، ويغتنمون ظِلَّ الجُدُرَاتِ، ويؤثرون البطالاتِ، ويختارون على حَقِّ الله محَادَثَةَ النِّسَاءِ

والإستمتَاعَ بكثرةِ التزويجِ، ويفضلونَ على تمْهِيدِ الأَقَالِيمِ وتدويخِ البلدانِ وجَوْفِ المفاوِزِ المَآكِلَ والمشاربَ، فمثلُ هؤلاء لا يُلاَئِمُونَنَا ولا نلائمُهُمْ بين الساسة والسهولة، وبين الشجاعة والسياسة، وبين الفتك والحلم، وبين السبط والربط، ويكونُ مَعَ هَذَا كُلِّهِ خَيِّراً ديناً تقياً نقياً، لا تاخذه في الله لومة لائم، يستعمل كُلَّ خصلةٍ في موضعِهَا، وتكون له نفسٌ أَبِيَّةٌ تَتَنَاحَى به عن سفاسفِ الأمورِ، ويكون نبيهاً يقظاناً بحاثاً، تُتَّقَى سُطْوَتُهُ، وتُعْرَفُ أمانَتُهُ، ولا يكون كالبازي العشي يُرَاعِي ما يتسَاقَطُ عليْهِ وَهُوَ في عُشِّهِ. فإذا ظفِرَتْ يَدِي بِمَنْ نَعْرِفُ فِيهِ ما ذكرتُ لكَ فَإِنِّي أَشُدُّ عليهِ خَنَاصِرِي، ونحب مشاركته في هذا الأجرِ الذي هو مرَادُنَا ومقصودنا من الله سبحانه، سواء كان مِنْ أولادنا أو من غيرهم، إِذِ النَّاسُ كلُّهُمْ عندنا في حق الله سبحانه سواء، لا يتفاضلون إلا بالعاميةِ، ولا يتقربون إلينا إلا بالخصالِ الحميدةِ، وأمورُ المسلمين لا خصوصيَةَ فيها لأولادِنَا ولا لغيرهم.وأنت إذَا بَقِيتَ عَلَى تلكَ الحالةِ الَّتِي نَرَاكَ عليها فَمَا أَظُنُّكَ تُنَجِّمُ شيئاً، فتلك الفائجة وذلكَ المَشْمَسُ الذي توجه إليها ابنَ كريمٍ ويرْجِعُ منْهَا بلاَ فائدةٍ، ويكتب لنا به التَّمَنَارِي، ولو كُنْتَ حيث أعدَدْنَا كلما تحتاجه من الجيشِ وَالزَّمْلِ والميرَةِ، وكاتبناكَ تأْتِينَا أَتَيْتَنَا وأظهرتَ لنا الرغبةَ فيها، وجعلنَا عليكَ محلَّةً، واتكلت على الله وتوجهت إليها في حفظه وأمانهِ، ودخلتَهَا وفُزْتَ بمزيتِهَا، وربحتَ أجرها، فحينئذٍ لا نتكلم فيها مع التَّمَنَارِي ولا مع غيره، واللَّهِ حَتَّى تكونَ اغتنَمْتَ مزيتَهَا، وحظيْتَ منَّا بدعوةٍ صالحةٍ، ونعتقدُ فيك الخيرَ، ونثق بِمَحَالِّ[1] (بمعنى أراضي وديار) المسلمين نُوَجِّهُهَا في يدك. فإن كان من رُكُونِكَ للراحةِ فليس الرأْيُ رَأْيُكَ، وإن كان من كبر البلاد عليك فتلك البلادُ أسهلُ من كلِّ شيءٍ، والله ما مقبوضٌ تمهيدُهَا مع قدرةِ اللهِ سبحانه إلا في رجلٍ عارفٍ يحْمِلُ إليهَا الأقوَاتَ، ويدخلُهَا بمحلَّةٍ، فمَنِ استحَقَّ السياسةَ يُسَايِسُهُ، وَمَنِ استحقَّ العقوبةَ يَسْتَأْصِلُهُ، فعبدُ الملكِ الخطيب في سُوسٍ هذه مدة منذ خلَّفْنَاهُ هنالك ما أقام بداره، ولا عرف ما يلتَذُّ به، ويظَلُّ على جَسَامَةِ بدنهِ طالعاً نازلاً في الجبالِ على بغلَةٍ، يقتحِمُ الحروبَ، ويباشرُهَا بنفسِهِ، ويخُوضُ غمَارَهَا، ولا يقنَعُ يجتَازُ بأحدٍ فيها. فَكَمْ وَكَمْ من قبيلةٍ أَبَادَ خضرَاءَهَا، وَكَمْ وَكَمْ من ملحمةٍ عَمِلَ في رؤوسِ الجبالِ وقعُورِ الشعاب، مع أن سوس فيها من القبائل الكبار التي تُعَدُّ ألوفا، وقبيلة هشتوكة وهيلالة

(١) بمحال أي أراضي وديار

هُمَا عمدَةُ قبائلِ سوس، أبادَهُمَا وأجلاَهُمَا واستَأْصَلَهُمَا، إلا من منع منهم ودخل تحت كَنَفِهِ من هشتوكة، وأما هيلالة فقَدْ كَادَ أَنْ يَأْتِيَ عليهم، وما كان السبب فيمن بقي له من القبائل إلا قلة الأقوات، واللَّهِ لو وَجَدَ القُوتَ حتى يسلك جميع بلادِ الفائجة وهو راكبٌ على بغلتِهِ، ولا نحتاجُ مَعَهُ لَكَ ولا لغيرِكَ، وبالجملةِ فأنت ما شَفَيْتَ لنا غليلاً في تلك البلادِ، ولا في أحكامها، ولا في رعايتِهَا، ولا في ضبطِهَا، ولا رأينَاكَ تَرْجِعُ إلاَّ على مَا في يَدِكَ، ولا تتشوَّفُ لمثلِ هذه الأمور التي نريدُهَا منك، ونحنُ واللَّهِ لا صبرْنَا لكَ في ذلك، واللَّهِ لا صبرنا لك في ذلك، والله لا صبرنا لك في ذلك، نُعْطِيكَ إقليماً وَحْدَكَ وَلاَ تَعْمَلُ به مزيةً دنيويةً ولا أخرويةً.

وهذه المكاتبُ والتوبيخَاتُ في كل مرةٍ أَعْيَتْنَا، وهذه البراوةُ لا نكتب لك بعدَهَا مع صحةٍ وعافيةٍ إن شاء الله إلاَّ إذا رأينَا منك الجِدَّ الذي تطمئِنُّ به نفُوسُنَا، وعملتَ ما يُرَادُ منْكَ، وأهلُ الذمةِ الذين بالفائجَةِ وغيرهم رفعْنَا عنهُمْ يَدَكَ وَيَدَ غيرك، وكلامهم مع ولد ميمران، وَمِنْهُ إِلَيْنَا، وقد نصحنَاكَ مِنْ سَنَتِكَ وأنت غافلٌ غافلٌ غافلٌ، باردٌ باردٌ باردٌ. وما قُلْتُ فيكَ إلا حقّاً، فاستَمِعْ ما خاطبنَاكَ به إن كانتْ لك بنفسِكَ حاجةً، وهذا ما نخاطبك به والله ولي التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطريق، نسأله سبحانه أن يبلغ آمالنا، ويصفي بمنه وكرمه أحوالنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو على ما نقول وكيل.
وأزيدك واحدةً وهي أنك تَحْسِبُ نَفْسَكَ على شيءٍ، وأنك نَجَّمْتَ شيئاً، أو اسْتَحَقَّيْتَ أكلَ أدنى شيءٍ، واللَّهِ ما تستَحِقُّ أنتَ وَمَنْ معك طرفاً، وهل دخلتَ بلاداً جَدِيدَةً مهدتهَا وزدتهَا، أو سَايَسْتَ ببراوَاتِكَ إقليماً آخرا وأضفتَهُ إلى ما أعطينَاكَ، فما أنتَ تَأْكُلُهُ أنتَ ولا أصحَابُكَ إلاَّ من الذين دوخهُمْ فضْلُ اللهِ، وأردعهم حَقُّ اللهِ، واللَّهِ ما أراكَ تَأْمَنُ عَلَى نفسِكَ مِنِّي، هَاهْ هَاهْ هَاهْ، اعرِفْ ما كُنَّا نُمْلِيهِ عليكَ وَافْهَمْهُ وإلا فَحَاوِلْ عَلَى نَفْسِكَ، انتهى.

# [الرسالة الرابعة]

ولدُنَا المَأمُون أصلَحَكَ اللَّهُ، سلامٌ عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد:

فاعلم أن هذه الأمورَ التي قلَّدَنَا الله سبحانه حكمتَهَا، وطوَّقَنَا بالفضل منه نعمتَهَا، وأظهر علينا خيرها وبركتها، هي أمورٌ دينيةٌ كبيرةٌ، مقدارُهَا عند الله عظيمٌ، ونفعها لديه في الدارين عميمٌ، فيجبُ على كلِّ من ولاَّهُ اللَّهُ على أيدينَا منْهَا شيئًا أن يقدِّرَهَا قدْرَهَا، ويعمل لها شروُطَهَا، ويعرف حقَّهَا ومنصِبَهَا، ويحتَزِمَ لَهَا، ويشُدَّ بخَنَاصِرِهِ، ويعُضَّ بنواجِدِهِ عليها، ويكون مباركاً حازما، ضابطا عارفاً، نبيلا حاذقا، فهما ماهرا، مُسَايساً كيساً، عاقلا صبورا، شجاعا جواداً، ويستعمل كلَّ خصلةٍ في موضعِهَا، ويجعل كلَّ فائدةٍ في مرتبتِهَا ومحلِهَا، وتلك البلادُ التي جعلَهَا الله إلى نظرِكَ هِيَ بلادٌ كبيرةٌ، وفيها مرافق ومنافع كثيرة، جمعت ما يكون في البلاد، وخصها الله سبحانه بمسائل ومصالح زائدةٍ، لا توجدُ إلا بها، وقد كانت في القديم لهذه الأقطار المغربية دَارَ إِمَارَتِهَا، ومركزَ رايتِهَا، وبها كانتْ تُذْكَرُ، وإليها كان يُشَارُ، وإذا جمعت إليها فوائجها وعمالتها فقد اجتمع لصاحبِهَا خيرٌ كثيرٌ، وأجرٌ كبيرٌ، وأنتَ اخترنَاكَ لولايةِ تلكَ البلادِ من بين إخوَتِكَ، وجمعنا لك جميعَ جهاتها، وأضفنا إليك ما هو خارجٌ عنها وغيْرُ محسوبٍ من عمالتِهَا، ظَنّاً منا أنك تكفينَا مع توفيقِ الله سبحانه أمرَهَا، وتضبطها وتعرف كيف تعطي وتمنع، وكيف تنفق وتجمع، ويكون تصرفُكَ على نهجٍ قويمٍ، وتكون لك نفسٌ كبيرةٌ، وهمةٌ عالية، تستَشْرِفُ بِكَ للمُهِمَّاتِ، وتطمَحُ بك للأمورِ الأكيدَةِ، بحيث إذا تكلمتَ تعرِفُ كيفَ تتكلم، وإذا انصرفتَ تعرف كيف تنصرف[1]، وإذا خاطبتَ تعرف كيف تُخَاطِبُ، وإذا ضربتَ تعرف كيف تَضْرِبُ، وإذا أعطيت تعرف كيف تُعْطِي، وتُظْهِرُ لنا نجدتَكَ وفائدتكَ، وأنت لَمْ تُعْجِبْنَا في هذِهِ السَّاعَةِ أكثَرُ أحوالِكَ وغالبُ تصرفاتك وَشُورِكَ[2]، فقد جربنَا هذه الأمور ومارسنَاهَا، وَبَلَوْنَا الرجالَ واختبَرْنَاهَا، وعرفنا أهلَ الجِدِّ من غيرهم، ولا يخفى علينا بفضلِ الله سبحانه شيءٌ، والعقلاءُ من الناس كلهم يعرفونَ الجِدَّ وغيرَهُ، ويُمَيِّزُونَ السقيمَ من الصحيح، وأهل الفائدة ممن عداهم، حتى أن الرجلَ إذا

---

(١) في ص إذا تصرفت تعرف كيف تتصرف.

(٢) في ص شؤونك.

كان سائماً[١] عائماً بنفس ما يدخل الوادي والنهر ويخبل يديه ورجليه يَظْهَرُ حَالُهُ إِذَا كانَ عارفاً ماهراً يَعْرِفُونَهُ، وإذا كان غيْرَ عارفٍ يعرفونه، ولا يخفى عليهم، وأنتَ هذَا العَوْمُ الذي رأيناكَ تَعُومُهُ في تصرُّفَاتِ ولايتِكَ مَا أَعْجَبَنَا، ولا نقبلُ منك ذاك، فحتى براوَةٌ تكتبُهَا إلينا ما نَجَّمْتَهَا ولا قَعَدْتَ إليها وعَرَفْتَ مَا تَكْتُبُ فيها، فقد أتَانَا كتابُك الذي أخبر مع علمِكَ بأن أولئك العرب الذين توجهوا للغَزْيِ كثيراً ما أَكَّدْنَا عليهم وحرضنَاهُمْ وتوعدْنَاهُمْ، وكتبنا لك بذلك، وهذه مدة وَهُمْ غائبونَ، ونحن نتشوفُ إليهم، ونسأل عن أخبارهم، وأولئك الأبَالِيس أولاد ادليم قبيلةٌ كبيرةٌ، تشتمل على أفخادٍ وشعبٍ كثيرةٍ، وفيهم أولاد سنان وأولاد معدن[٢]، وبينهم منازعةٌ ومباينَةٌ، وتارةً يكُونُ بعضُهُمْ قريباً من البعضِ في البلادِ، وتارةً يكونونَ بُعَدَاءَ، وتارةً يكونون مجتمعين، وتارة يكونون مفترقين، وما عرفنا هذا الغَزْيَ جَاءَ فيهِمْ كلِّهِمْ أَوْ جَاءَ في بعضٍ دون بعضٍ، فحيثُ وَرَدَتْ عليك رَقَاقِيصُ[٣] العربِ وسفراؤُهُمْ يبشرُونَكَ[٤] تكونُ جلستَ إليهم واشتغلت تسألُهُمْ عن الذين جاء فيهم هذا الغَزْيُ فخداً فخداً، حتى تعرِفَ مَنْ أُخِذَ مِنْهُمْ وَمَنْ تَفَلَّتَ وتسألهم كَمْ ماتَ منهم، وهل قاتلوا دُونَ مَالِهِمْ، وكيف كان قتَالُهُمْ، وكم عِدَّتُهُمْ، وفي أَيِّ بلدٍ وجدُوهُمْ، وأينَ ذَهَبَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ، وفي أَيِّ البلادِ تركُوهُمْ، وهل وجدوا أحداً مع أولاد ادليم مِنْ غيرِهِمْ نازلاً معهم، وتسأَلْ عن عَرَبِكَ الذين تَوَجَّهُوا من عندك، وعن وجوههم وأعيانهم، وهل مات لهم أَحَدٌ وَجُرِحَ منهم أحدٌ، وإذا سألتهم عن هذه المسائلِ وأشبَاهِهَا وحصَّلْتَ خبرهَا تُجَلِّسُ كاتبَكَ وَتَجْلِسُ قُدَّامَهُ وتشتغل تَمْلِي عليه جميعَ ما حصلَ عندكَ من الخبر، وإذا كَتَبَ براوتكَ يقرؤها عليك حرفاً حرفاً، حتى تعرِفَ ما كَتَبْتَ فيهَا، فإذا استكْمَلَ غرضكَ وأعجَبَتْكَ فحينئذٍ تختمها وتعلمهَا، وتُوَجِّهُ بها إلينا، فإذا وصلتنَا وقرأنَاهَا نستفِيدُ منها جميعَ ما نَتَشَوَّفُ إليهِ من الخبرِ، وتطمئن نفوسُنَا بك وبخبرِكَ، ولا نسأل أحداً بعد مطالعَتِهَا على كتابك، ونستَدِلُّ ببراوتِكَ حينئذٍ على علُوِّ همتك ووُفُورِ عقلك، وأما براوتُكَ هَذِهِ فَهِيَ براوَةُ عَامِّي لاَ يَعْرِفُ شيئًا ولا

---

(١) في ص سابحا.

(٢) في ص أولاد معروف.

(٣) رقاقيص جمع رقاص الذين يأتون بالأخبار.

(٤) في ص يشاورونك.

يَفْقَهُهُ، ولا يكتبها رئيسٌ ولا ذو ولايةٍ، أَوَ مَا عَلِمْتَ أنَّ براوةَ الرجلِ هِيَ عنوانُ عَقْلِهِ، ومنها يُخْتَبَرُ، فمِنْ براوَتِكَ هذِهِ يستَدَلُّ على قِلَّةِ اعتنَائِكَ وعدَمِ تفرُّسِكَ في السياسة[1] الرياسة، واستشرافك للأمور الكبيرة، وهي أقوى دليلٍ وشاهدٍ على عدم تَبَصُّرِكَ وقلَّةِ حيلتك[2]، فانتبه لهذه المسائلِ التي كُنَّا نُنْكِرُهَا عليكَ، وَقِسْ عليها نظائرها، فإنك واحدٌ من أولادنا، ولا نختارُكَ عليهم إلا إذا جعَلَ اللهُ فيك من النجدَةِ والفائدة ما نرَاهُ زائداً على مَا هُوَ فيهِمْ، وأولادنا عندنا[3] وغيرهم في حق الله سواءٌ، وقد كُنَّا كتبنا إليك قبل هذا بيومينِ كتاباً وجهناه إليك صحبةَ خديمنا دحمان غرنيط، فإذا وَصَلَكَ في حفظِ الله فاقرأه حرفاً حرفاً، وتعرفه فصلاً فصلاً، وَشُدَّ يدَكَ عليه، واعمل بما فيه تربح وتسعد إن شاء الله، وخديمنا الشيخ محمد بن أبي بكر الدليمي السناني اليعلاوي هو من كبارِ أولاد ادليم، ومن خيَارِ إِخْوَتِهِ أولاد سنان، ودائماً يتعاهد بساطنا المبارك، ويتردد إلينا هُوَ ووالدُهُ قَبْلَهُ على عادةِ وُجُوهِ العربِ وكبارِهَا وأعيَانِهَا وساداتها في القديم وفي الحديث، ورأينا فيه من المحبَّةِ لنا وَالمَيْلِ لجنابنا ما لم نَرَاهُ في غيرِهِ، وفي هذه المرَّةِ بنفسِهَا ما انفصل عن قبيلَتِهِ حتَّى سَمِعَ بخبَرِ غَزْيّ أولئك العربِ قاصدينَ لإِخْوَتِهِ، فما ساءت ظنُونُهُ ولا أَنْذَرَ أهلَهُ، ولا حذَّرَهُمْ، ولا وجَّهَ إليهم حتى بطرفٍ من الخبَرِ، وَعَمِلَ رجاءَهُ في الله وَفِينَا، وأتانَا ومكث في بساطنا ما شاء الله منذ ذلك الغَزْيّ، وهو عندنا وأهله وإخوته أولاد يعلى جاءوا في النزلة في مضان الأَخْذِ، وهم من جملةِ أولاد سنان، ونحن كنا اتفقنا مع أولئك العرب على أن هذا الرجلَ وإخوَتَهُ لاَ مَدْخَلَ لَهُمْ مع أولاد سنان، ولا يُوخَذُ لهم مَالٌ، وعلى هذا الوجه أوصيناهم، ويكفينا من هذا الرجلِ بقاؤُهُ على عهده حتى أنه ثلاثة أيامٍ أو أربعةٍ وهو يدور على خديمنا عبيد بن إبراهيم بهدِيَّتِهِ، وحيث وصلنا عَبِيدُ أَعَادَ علينَا ذلك، فإذا وصلتك أولئك العرب الذين كانوا في ذلك الغَزْيّ فتلقَاهُمْ وافرَحْ بِهِمْ، وابسط لهم لسانك، وقابلهم بالبشرِ والترحيبِ، وأظهِرْ لهم البشاشةَ، واعقد لكبرائهم مجلساً كبيراً، وَأَطِلْ معهم الكلاَمَ، وَحَسِّنْ لهم غَزِيَّهُمْ، وعرفهم بمزيتِهِ، وجازيهم خيراً عليه، وحَمِّدْهُمْ بالسلامةِ، وإذا استكمَلْتَ غرضكَ معهم

---

(١) سقطت من ح.

(٢) في ص عدم لياقتك وقلة مبالاتك.

(٣) سقطت من ح.

في السؤالِ والملاقاة، فَقُلْ: إن خديمنا الشيخ محمد بن أبي بكر الدليمي السناني اليعلاوي هو أحد أعيان أولاد اداليم، ومن أهلِ المحبةِ في جَانِبِنَا، ودائماً يتردد إلى بساط والدنا نصره الله، هو وَوَالِدُهُ قَبْلَهُ، وفي هذه المرَّةِ بنفسها سَمِعَ خبرَكُمْ قاصدِينَ أهلَهُ بنفسِ ما خرج من عندهم، فمَا ثَنَاهُ خبرُكُمْ ولا أنذَرَ أهلَهُ ولا حذَّرَهُمْ ولا وَجَّهَ أمامَكُمْ خبراً بكم، واستَمَرَّ على حالهِ لوالدنا نصره الله. وقد كانَ أوصَاكُمْ عليه وعلى إخوَتِهِ، واتفق معكم على أنكم لا تَقْرَبُونَهُمْ، وهذا المالُ الذي أتيتم به سَمَحَ لَكُمْ فيه وعاونكم على أرواحكم، فكل ما أتيتم به من الإبل والغنم والبقر وحتى العَوْدَاتُ، وإن ذكر له البعض في مجلسه سمح لكم فيها، وَمَالُ هذا الرَّجُلِ وَمَالُ إخوَتِهِ يجمعُونَهُ لَهُ ولا يبقى عندكم منه قليلٌ ولا كثيرٌ، واحسبوا ذلك في الخُمُسِ الذي تخرجُونَهُ لبيتِ المال عمَّرَهُ الله.

واجْمَعْ مَالَ هذا الرجلِ وَمَالَ إخوَتِهِ، واجعله تحت يدك محضياً، وبينما تجمعهُ يَرِدُ عليك إنْ شاءَ اللَّهُ فيجِدُ مالَهُ عندك محضراً ميسراً، ويتوجَّهُ معك إن شاء الله في تلك الحركة التي أمرناك بها لِتَاسْرِيرتْ، وهو أميرُ محلتك[1]، وعلى يده تجبر قبيلةَ أولاد اداليم بحول الله، لأَنَّ العرب عندنا نحبُّهُمْ ولا نُسَوِّطُهُمْ إلاَّ على حَقِّ الله، نريدُ أن يعرفُوهُ وتجتمِعَ كلمتُهُمْ عليهِ، فاللَّهَ اللَّهَ في مالِ هذا الرجلِ وإخوته[2] وفيه إذا وَصَلَكَ، وأولئك العرب ما ضيقنا عليهم في كل شيءٍ من كل ما أَتَوْا به إلاَّ مَالَ هذا الرجلِ وإخوَتِهِ الذين اتفقنَا معهم عليه، وَالعَبْدُ وَالخَادِمُ هُوَ لَنَا، فكُلُّ مَا أَتَوْا بِهِ مِنَ العبيدِ صغاراً وكباراً ذكوراً وإناثاً اقبضْهُ منْهُمْ، ولا تسمَحْ في شيءٍ من الرقيقِ، وَبَرِّحْ عليهِمْ بالبَرِيحِ [3]كُلُّ من ظَهَرَ عليهِ عبدٌ أو خادمٌ دَسَّهُ عنكَ واطلعتَ عليهِ يُؤْخَذُ مَالُهُ ويخَافُ على نفْسِهِ، وذلك الرجلُ الذي عندكَ خديمنا الشيخ يعيش بن زيدان البربوشي وَرَدَ علينَا وتعاهدنا وَتَرَدَّدَ إلينا هذه مرتين بقصْدِ كبيرَتِهِ والرياسةِ على إخوَتِهِ، وأخذِهِ بثأرِهِ من بعضِهِمْ، وحيث قصدَنَا من بلاده وأتانَا منهَا بهدِيَّتِهِ فلا يُحْمَلُ بنا تسْفِيهُهُ وإهمَالُهُ، ولا يمكن لنا إلا مساعدته

---

(١) حملة عسكرية بمكان ما.

(٢) سقطت إخوته من ح.

(٣) المناداة بأعلى صوت.

ومساعفته، فدائماً كانت أعيانُ العربِ ووجُوهُهَا ينصرُونَ[1] الملوكَ ويقيمون على أبوابها الأيامَ الطويلةَ، حتى يظفرون بحاجتهم، ويأخذونَ بثأرِهِمْ إن كان لَهُمْ، وهذا الرَّجُلُ الزبيري الذي يَرِدُ عليك صحبة هذا الكتابِ وَرَدَ علينا وخديمنا يعيش بن زيدان هُنَا عندنَا، ولما رَأَوْنَا تكلمنَا معَهُ على تَغَازَى وعلى إخوَتِهِ، ووجهناه لذلك القصْدِ قال لنا: إن صاحبَ تغازى يعرفني ونعرفه، وإذا نصحتُهُ يقْبَلُ نصيحتي، وهذا الوقت ما يدفع لبيتِ المالِ عمَّرَهُ الله وَصَلَ، وأحببتُ منَ اللَّهِ ومنك أن تُوَجّهَنِي بالعزمِ إليهِ حَتَّى آتِيهِ وأنصحهُ، وآتِيكَ مِنْ عِنْدِهِ بِمَا عليهِ لبيتِ المالِ، فإن رأيتُهُ قَبِلَ نصيحتي وعرَفَ الحَقَّ نُعْلِمُكَ بِهِ، وإن رأيته لم يقبل نصحي ولا يليق بتلك البلاد نُعْلِمُكَ بِهِ، ولا نُغَيِّبُ عنك شيئًا من خبرِهِ، ورأينَاهُ حَتَّى هُوَ يدُورُ عنْدَنَا على كبيرَتِهِ، ويظاهر لنا، فإذا وصلَكَ في حفظِ الله فجَهِّزْهُ وأعنْهُ[2] واقْضِ لَهُ أغراضَهُ وَزَمِّلْهُ بعشرينَ جملاً، يتوجَّهُ بما شاء منها، ويدع لأهلِهِ ما يشاء، ولا تَسْتَكْثِرْ فيهِ هذه العشرينَ من الإبلِ أَوْ تَبْقَى في قلبِكَ، فإذَا كنتَ رَجُلاً ورأينَاكَ تعمَلُ بالإبلِ الخصلةَ والفائدةَ فَإِبِلُ هوارةَ كلُّهَا لَكَ، ولا نعزُّ على أهلِ الفائدةِ شيئاً، فمَنْ لَمْ يكن من أولادنا فضلاً عن أولادنا، وإذا قَضَيْتَ لهذا الرجلِ الزبيري أغرَاضَهُ وجهزْتَهُ فاكتب براوةً على لسانِكَ لصاحبِ تَغَازَى، وقل له: اعلم أن والدي نصره الله أعطاني جميع هذه البلاد تافيلالت وأحوازها وعربها، ودرعة وأحوازها وعربها، وتلك البلادُ تَغَازَى هي محسوبةٌ من جملَةِ درعة، ومعدودةٌ من عمَالَتِهَا، وكلُّ مَنْ يتصرَّفُ في درعةَ كان يتصرَّفُ فيهَا، وقد كنت عزمت في هذه الحركةِ المباركةِ التي أَحْبَبْتُ أنْ تصِلَ فيهَا إن شاءَ اللهُ لبلادِ الساحلِ وما ولاها من تلك الجهةِ أَنْ نُوَجّهَ إليهَا مَنْ يليقُ بها، وخديمنا الشيخ يعيش بن زيدان البربوشي مَا هُوَ مقيمٌ عندَهَا إِلَّا بقَصْدِهَا، حتى وَرَدَ علي هذا الرجل الزبيري من عند والدي نصره الله، وهو يأمرني بِتَزْمِيلِهِ وتوجيهِهِ إليك، ولا أدري بِمَاذَا أُوَجِّهُهُ، وعلى مَاذَا، غَيْرَ أنك الذي تعرِفُ منَّا أن تلكَ البلاَدَ هِيَ من حسَابِنَا، وإِنْ كنْتَ وفيتَ الحَقَّ والخِدْمَةَ وعرَفْتَ كيفَ تخدم فأنت على عمَلِكَ، وإن بقيتَ على ما يعرفه النَّاسُ منْكَ فالبلادُ نجعَلُ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ يَلِيقُ بِنَا وَبِهَا،

---

(١) في ص يقصدون.

(٢) في ص وعاونه.

فبهذَا تَكْتُبُ لَهَ، وَشُدَّ رُوحَكَ في جميعِ أَشغَالِكَ، وكن ضابطاً كل ما هُنَالِكَ، وتنبَّهْ لمسائِلِكَ، وأَزِلِ الغرَّةَ منكَ، وقد أرشدنَاكَ جهدَكَ، والله ولي التوفيق، وهو الهادي إلى أحسن الطريق. والسلام.

في الموفي ٢٠ جمادى الأولى عام ١١٠٣هـ.

# [الرسالة الخامسة]

ولدنا الأرضى مولاي المأمون أصلحَكَ الله ووفقك، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته عن الخير والعافية، وَنِعَمِ اللَّهِ السابغَةِ الصافيةِ، للَّهِ الحمْدُ وله المنة.

أما بعد:

فاعلم ولدنا أصلحك الله أن هذه الوِجْهَةَ المبارَكَةَ التي أمرنَاكَ بها وقربنَاكَ إليها، وحرضنَاكَ المرَّةَ بعد المرَّةِ عليها، هي وجهةٌ مباركةٌ مظفرةٌ بعون الله تعالى، مباركةُ الطليعة، ميمونةُ النقيبة، بحول الله تعالى وقوته. وقد كتبنا لك في شأنها كتباً عديدةً، وأكدنا عليك في حجتها، وأمرناك أنت كيف تعمل في مسيرِكَ وفي سيْرِكَ بتَأَنٍّ وتَوَانٍ، كأنك راتعٌ ومستريحٌ، حتى تخيّمَ بوادي درعة، وتختَارَ لمحلَّتِكَ بلاداً مليحةً، دمية[1] واسعةً، كثيرةً الحطب، قريبةَ التناولِ له، وتوسع خاطرك بالمقامِ هنالك، حتى تخْتَبِرَ أحوالك وأحوالَ جميعِ تلكَ البلادِ وأهلها، وَتَنْصَتَ لخبرِ أولاد اديلم، وكلاَمُكَ في ذلك كُلِّهِ مع إِذَاوبْلاَل[2] حتى يستأنسُوا بك، ويأمنوا فيك، وتعرف أَنَّكَ أَنَخْتَ عليهم بِكُلِّ كُلِّكَ، وَبَرَكْتَ[3] عليهِمْ وَعَمِلْتَهُمْ في حصنِكَ، وتحققتَ أن لا يجِدَ أحدٌ منهم منعةً ولا مهرباً، فاحتوي عليهم جميعاً وعلى رقابِهِمْ وأموَالِهِمْ، فإن لهم أموالاً كثيرةً، ولا صرخة لأولادِ اديلم، ولا منعةَ ولا مأوى ولا ميرةَ، ولا قوتَ ولا كساءَ، ولا غطاءَ يدخل على أولاد اديلم من جهَةِ تلك الشرذمة العاويةِ، فإنهم هم الذين جَسَّرُوا حَرَامِيينَ أولاد اديلم على مَا هُمْ عَلَيْهِ، وهم الذين كانوا ينفعُونَهُمْ بالغطاءِ والتمرِ والزرعِ وغيره، فإذا أَنْتَ أَنَخْتَ بموضعٍ يليق بك من حَوْزِ وادي درعة كما قلنا لك، وكان موضعاً مليحاً دميا[4]، كثيرَ الحطب، قريبَ المير، وَالمَشْمَسُ في أكتَافِكَ، وَحَذْوَ أُذُنِكَ وبالقربِ منك، فَهَا ثمرُهُ وزرْعُهُ جميعاً إليك، وَهَا وصيفُنَا الطالب أحمد ولد علي وعمر تحْتَ كُلِّ ما تأمرُهُ بِهِ مِنْ زرعٍ وتمرٍ يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ، ويعمرُ لك العِيرَ التي تبعثها[5] إليهِ وتوردهَا عليهِ، وأَنْتَ مخيمٌ

---

(١) في ص دفية.

(٢) ذوبلال في العربية، قبيلة من قبائل الكيش، روضة النعريف ص ١١٤.

(٣) بمعنى وضعت يدك عليهم ضاغطا.

(٤) في ص دفيا.

(٥) في ص تنقلها.

حيْثُ أمرناك، مرتقبٌ للفرصةِ، متوثبٌ[١] عليها كما رأينَاكَ، ولا تظهر لكل أحدٍ أنك مُقْصِرٌ عن أولاد ادليم ولا قاصداً، ولا تُظْهِرْ إلا أَنَّكَ مقيمٌ هنالك تنتَظِرُ أخبارَ خديمِنَا عبيد بن ابراهيم ومحَلَّتِهِ، وتنصت لَهُ وَلِمَا عَمِلَهُ في تلكَ القبلةِ[٢] مع أخوالِ أبيكَ، وتتشوف إلى ما دُونَهُ مع أَهْلِ القبلةِ[٣]، ومَا هُوَ يتكلَّمُ بِهِ معهُمْ.

وأنت مع ذلك تُدَبِّرُ على وترْضَى عليهم وتتكلَّمُ معهُمْ، وتريهِمْ أنك تنتظِرُ لأخبارِ المغافرة[٤]، وتحاول على قطعِ قرُونِ مع أولاد ادليم فَقَطْ، وخزَانَتُكَ عندك موفورةٌ بكلِّ شيءٍ، وَعِيرُكَ ذاهبةٌ وراجعةٌ إليك بالمِيرِ، وواردةٌ عليك بكل خير، وحتى يتحققوا أنك مقيمٌ وعرَبُكَ وأهلُ محلتِكَ فرِحُونَ شرِهُونَ، مشتغلونَ بالصيدِ فرحون بكثرةِ الحطبِ[٥] واللحمِ، لا يخصُّهُمْ في تلك الصحراءِ مِنْ وحشٍ وغيرِهِ، فإنك إذا وَسَّعْتَ خَاطِرَكَ، وكبَّرْتَ همتَكَ، وأبعدتَ نظرَكَ، وكنت منتهزاً للفرصةِ في الحَرَامِيِّينَ مستعيناً على أمورك كلها بالله وبالكتمان، تجد إنْ شاء الله فيهم فُرْصَةً تَأْتِي عليهم، وَتُعَمِّر من أموالهم عمارةً مليحةً، وتحسم مادتهم. وهنالك تَتَهَنَّى منهُمْ تلكَ البلادُ( ويهلكوا حراميوا أولاد دليم)[٦]، ويهلكون بالجدبِ والعطشِ والشرسان[٧]، فإن أولاد ادليم يهلكهم الله لا محالةَ، وسببُ هلاكهم هُوَ مَا ارتكَبُوهُ من معاندَةِ حَقِّ الله تعالى، وهذا الجدْبُ الذي سلَّطَهُ اللهُ عليهم، وإذا أنتَ قصدتهُمْ وقصدْتَ بلادهم من أول وهلةٍ لا يرتجونك أبداً ولا يصبِرُونَ لملاقاةِ حزب الله، ولكن يصيرون في تلك الصحراء، ويهرَبُونَ حتى يهلكون، وَتُتْعِبُ أنتَ نفسَكَ ومحلَّتَكَ في طلبهم وفي متابعتِهِمْ.

وإذا أنت تربصتَ وانتهزتَ الفرْصَةَ في [إذاوبلال] كما أمرناكَ، ولم تبعدْ في البلادِ، واختَرْتَ الموضِعَ اللائقَ بِكَ والقريبَ مِنَ المِيرِ ومنَ المَشْمَسِ، وتخلَّصْتَ من

---

(١) في ص متوانيا.

(٢) في ص القبيلة.

(٣) في ص القبيلة.

(٤) فرقة من الاودابة من عرب المعقل.

(٥) في ص الخصب.

(٦) سقطت من ح.

(٧) سقطت من ح.

[إذاوبلال] فذلك هو الخلاصُ من أولاد اداليم بكلِّ حالٍ من الأحوالِ، فَاعْرِفْ ما أمرنَاكَ به من التوكُّلِ على الله تعالى وَمِنْ قَصْدِكَ البلادَ التي أريناكَ واعمل هذه الفائدَةَ وهذِهِ النتيجَةَ التي أمرناك، والله يُيَسُر عليكَ. ولتكن رسائلك وبراواتك وَرَقَاقِيصُكَ متواترةُ الورودِ على مقامنا العَلِيِّ بالله، مترددةُ القدومِ على أبوابنا حرسها الله، غير مقصرٍ في شيءٍ من ذلك، لنكونَ على بصيرةٍ في جميع أمورك، وفي سائر شؤونك، ولنعرف حيث أنت من البلادِ، ولنعرف حزمك في محلتك، وعزمك وسياستك ورياستك، وانْظُرْ مَنْ تُخْلِفُهُ في تافيلالت، ليقِفَ لَكَ في أمورك، ويضبط لك العربَ ويحوزها، ويرى من تَخَلَّفَ عنْكَ منْهُمْ ومن يلْتَحِقُ بِكَ، ولا تجُوزُ عليه غرةٌ في شأْنِ حركتِكَ، ولا فِي شأنِ العربِ الحَارِكِينَ معَكَ.

واعلم أنَّ حاملَهُ صاحبك محمد بن على المنبهي حَضَرَ يَوْمَ كتبِهِ، وكنا نسأله عن زَمْلِكَ وخزانتكَ وعلفِكَ ومؤونتِكَ التي تختص بك وبأصحابك، فذكرَ لنا أنكَ أَحْبَبْتَ أن تحمل ذلك على ما عندك من الإِبِلِ، وعلى المائتين التي وجهنا لك من عندنا عامرةً موسوقةً، وذلك غيْرُ لائقٍ بكَ، فكل ما عندك من الزرع والدقيق وغيرِهِ، حتى إذا كانت عندك عشْرُ مائةِ حمْلٍ فَرِّقْهَا على العربِ فَذَوِي مَنِيعٍ يحملون لك منها ثلاثمائة، والصَّبَاحُ وبني محمد ثلاثمائة، وعريب حَمِّلْ عَلَيْهِمْ أَبُوهُمْ يَحْمِلُونَ لَكَ أربعمائة، وكل قبيلةٍ تُعْطِي أحمالَهَا من عندِهَا، وأصحَابُكَ أَنْتَ على إِبِلِكَ ليس فيهَا شيْءٌ، موفورةٌ محضيةٌ[1] إلا ما يختَصُّ بك لنفسك وأصحابك، في كُلِّ ليلةٍ يدْفَعُ لهم شيخٌ من شيوخِ العربِ لاَزِمَهُمْ على يَدِ مَنْ يضبطُ لك تلك المؤونة، ولا يضَيّعُ منها حبةً واحدةً حتى تصل البلاد التي أمرنَاكَ ووصفْنَا لكَ، من غير أن تبعد في البلاد، وتطرح نفسك وتفيجَ[2] كأنك منتظرٌ لأخبارِ محلةِ القبلةِ ولخبَرِ عبيد بن إبراهيم، وَزَمْلُكَ قاصدٌ للمَشْمَسِ راجعٌ منْهُ بالتمرِ والزرعِ، وكلامك مع [إذاوبلال] ومع غيرهم حتى ترى أَنَّكَ انتهزْتَ فيهِمْ فرصةً مليحةً فَأَوْثِبْ عليهِمْ وثبَةً صحيحةً تهلِكُهُمْ بها كما قدمنا لك، وقد وَالاَكَ فَصْلُ الشتاءِ، والربيعُ تشتى وتربع حيثُ أَنْتَ، والكَلاَ نطلبُ الله تعالى في أَنْ يَمُنَّ بِهِ عليكَ، وَكُنْ عيناً وأُذُناً على جميع أهل تلك البلادِ، فمقَامُكَ هنالك وحده يَهَابُكَ بِهِ جميعُ أهل

---

(١) أي مراقبة

(٢) في ص وتقيم.

تلك القبائل، ويعملون بحسابك ويهابونك، ووواللَّهِ إِنْ أَنْتَ عَمِلْتَ ما أمرناك به وانتبهْتَ[١] لأَثَرِ وَصِيَّتِنَا حَتَّى تُحَصِّلَ في أولئك الكِلاَبِ على مزيةٍ مليحةٍ وفائدةٍ كبيرةٍ، ولا يَكُودُكَ بعدَ أَنْ تُعَمِّرَ يَدَكَ بأموَالِهِمْ وَتَعْمَلَهُمْ في جوفِكَ أَحَدٌ مع فضل الله تعالى، فإن عمَّكَ مولاي محمد بن الشريف رحمه الله هُوَ الَّذِي ظَهَرَ فِي هَذَا الأمرِ، وكان فيه لنا والحمد لله خَيْرٌ، فَلَقَدْ كانت معه سربةٌ من مِائَةِ فارسٍ فيهَا خيلُ الحراطين[٢] والشرفاء، وأجلُّهُمْ وأنفعُهُمْ خيْلُ الشرفاءِ، فكان يغْزُو العربَ في كلِّ موضعٍ، فلقد غزَاهُمْ بالمرة وبالمظميهر[٣] وبتارساطت[٤]، وفي كُلِّ موْضِعٍ، وكان يضبُطُ أمره ولا يكُودُهُ مَنْ هُوَ أَمَامَهُ على أَيِّ حالةٍ كَانَ، فكانت عربُ العمُودِ لا تأمَنُ من مصْبَحِهِ وَلاَ مَمْسَاهُ.

وما ذكرتَ لَنَا من أَنَّكَ إذا وجدْتَ العَوْدَات كانَتْ أَنْفَعَ لك فواللَّهِ ما حبسنا لسرْجِنَا إلاَّ عَوْدَاتٍ قلائلٍ، وخيلُكَ التي معَكَ بحولِ الله وقوَّتِهِ تكفِيكَ، وليْسَ أَمَامَكَ[٥]، (فوالله ما كنا لنعزها فيك[٦] إلا كما ذكرنا لك قبل هذا إنتاجها عندنا أحسن وأولى)[٧] ولا تحتاجُ إلاَّ إلى الضبْطِ والكتمَانِ في المسائِلِ، بأن لاَ تُظْهِرَ لإِذَاوبْلاَلٍ أَنَّكَ تُرِيدُهُمْ، ولا عندك أمرٌ مِنَّا عليهم، لأنهم لم يكونوا ينزلُونَ في موضعٍ واحدٍ، بَلْ تنزِلُ منهُمْ سِتُّ خِيَامٍ أو ثمانيةٌ هُنَا ومثلُهَا هُنَاكَ وهكذا. فأَظْهِرْ لهُمْ أَنَّكَ منتظِرٌ لأخبَارِ القبلةِ، وقل لهم: ليسَ عندي أَمْرٌ عليكم، وكلاَمُكُمْ مع والدي نصره الله، حتى تنتَهِزَ فيهِمْ فرصةً مليحةً بحولِ اللهِ وقوته، والله تعالى يُيَسِّرُ عليكَ فيهَا، وَهَا ثلاثُ براواتٍ تَصِلُكَ، واحدةٌ للحيوني، والأخرى لأولاَدِ العربية، والثالثةُ لولد بَلاَّوَعْلِي البوعمراني، فإذا وَصَلُوكَ وقرَأْتَ هذا الكتَابَ فَوَجِّهْهُمْ مع ذلك الزبيري صاحِبِكَ أو مع غيرِهِ ممَّنْ تَثِقُ به، ويوصلُهُمْ للحيوني بِالعَزْمِ والسلام.

---

(١) في ص واتبعت.

(٢) أي العبيد.

(٣) في ص بالمطير.

(٤) في ص وبتامرسطات.

(٥) هنا انتهت رسائل ابن منصور الخمسة.

(٦) اي ما كنا نبخل بها عليك.

(٧) سقطت من ح.

واعلم أنا كتَبْنَا للتَّمَنَارِي كتاباً، ولولد علي وعمر الذي بِأَقَّا كتاباً حرضنَاهُمْ فيهِ على الإعتنَاءِ بأمرِكَ وبجميعِ ما تحتاجه هنالكَ منَ القُوتِ والزرعِ والتمرِ، وتوعدْنَاهُمْ على عريبٍ وإذاوبلال إِنْ أَخْرَجَ أحدٌ منْهُمْ من جميعِ بلادِ مشمس وَلَوْ حبَّةً واحدةً من التمر ومن الزرع، أوْ أخرجَ من هنالك وَلَوْ كساءً أَوْ غطاءً نَحُزُّ في ذلك رؤوسهم، ونحسم مادتهم، وَكُلُّ مَا تنفذه عليهم خزانَتُكَ أَوْ أُمِرُوا بِهِ ذوي منيعٍ والصبَّاحِ وبني محمد لخزانتك أو أرادوا أن يكتالونه بمالهم أو بدراهمهم فلاَ عليهم فِيهِ، وعريبٌ وإذاوبلال إذا أخرجوا إلى هُنَالِكَ من أَوَّلِ حَوْلٍ نحرز رؤوسهم ونعاقبك أَنْتَ بسبَبِهِ، فشُدَّ روحَكَ واعرِفْ حالَةَ أولئك الحَرَامِيّينَ إذاوبلال وعريبٍ وسَلاَّمٍ ومريبطٍ وغيرهم من جميع كزولة، فكلمهم في منْعِ الكَيْلِ والتمرِ سواء.

وكتب في ٢٩ ربيع الثاني عام ١١٠٩هـ .

## [الرسالة السادسة][1]

ولدنا مولاي المأمون أصلحه الله وأرشده، سلامٌ عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد:

فقد بلغنا كتابُكَ وقرأنَاهُ، وفهمْنَا ما تضمنَهُ لفظُهُ ومعْنَاهُ، وقد وجدنَاكَ تذْكُرُ فيه استعدادك وأُهْبَتَكَ لهذا الوجهِ المباركِ الذي أمرناكَ بِهِ، وأكدنا عليك في حجته، فاعلم أن تلك البلادَ التي ألزمناك بغزوِهَا هي بلاد متسعةُ المفاوز، قليلةُ الماءِ والمرافقِ، يحتاج من يريد أن يفُوزُ بمزيتِهَا إلى أُهْبَةٍ كبيرةٍ، ومؤونةٍ كثيرةٍ. وقد علمت أننا كنا أولا نلزم بغزوها عرَبَ تلكَ الجهةِ الصحراويةِ، فيتوجهون إليها على غيْرِ أهبتِهَا، ويزيدون على ذلك قِلَّةَ الضبطِ والحزْمِ، فَيَتَفَرَّق لهم أولئك الحَرَامِيُّونَ أولاد ادليم، ويهربونَ أمامهم في مفاوزِ صحراءِ الشَّرِيقِية[2] وغيرهَا، فَيَكِلُّ في طلبهم الخف والحافر، ويفرغُ الزَّادُ، فلا يحصلون منهُمْ على طائلٍ، وفي هذه المرَّةِ التي تَوَجَّهَ فيها معهُمْ أخوك مولاي أبي النصر[3] اسْتَكْثَرَ الأُهْبَةَ وبالغَ في الإستعدَادِ جهْدَهُ، وكانت معه قوةٌ في زَمْلِهِ وزاده وخزانته، ومع ذلك فما اتَّصَلَ الفريقُ منهم حتى كَلَّ لأولئِكَ العربِ الذينَ كَانُوا معَهُ جمِيعَ ما عندهم من الخف والحافرِ، ولم تكُنْ مَعَهُ سريةٌ من الجيشِ الرَّوَاتِبِيِّ[4] يَثِقُ بهَا وتطمئنُ نفسُهُ معَهَا، فما رأى لأتباعهم وجهاً.

ولولا أَنَّ الغَزْيَ الذي كانَ حَازَ ذلك الفريق منْهُمْ إليه مِنْ أَخْوَلِنَا الوداية[5] ما اتَّصَلَ بهم، ومَعَ جِدِّهِ وَضَبْطِهِ للعربِ وحزمِهِ ما شَفَى لنَا غليلاً فيهِمْ، ونحنُ نريدُ أَنْ تتوجهَ على بركة الله لتلك البلاد تَوَجُّهَ رَجُلٍ، وتعمَلَ فيهَا ما تستجلِبُ به رِضَا اللهِ سبحانه، فَإِنَّ أولئك المارقِينَ فرقةٌ باغيةٌ خالفتْ حُكْمَ الإمامِ وخرجَتْ من ربقةِ المسلمين والإسلام، يَجِبُ قتالُهُمْ، والإعَانَةُ بمَا لَهُمْ عليهم، ولا تجوزُ معاملتهم ولا مناكحتهم، ولا البيعُ

---

(١) يرد هذا النص في روضة التعريف لابن منصور، وتبنيناه على سبيل المقابلة.

(٢) في ص الشريكية.

(٣) من أبناء السلطان، استخلفة أبوه على الصحراء وتارودانت، المنزع اللطيف ص٢٢٩.

(٤) الجيش النظامي.

(٥) قبيلة من عرب المعقل، كان السلطان يعدهم من أخواله، لأن أمه السيدة خناتة بنت بكار المغافرية منهم، رسالة بن منصور ضمن الروضة ص١١٢.

والشراءُ معهم، وَمَنْ وقعَتْ منه معاملةٌ معَهُمْ فَهُوَ عَاصٍ، فمَا دَامُوا على تلك الحالةِ الشاقةِ فَهُمْ على حكمِ القَتْلِ لكلِّ مَنْ ظَفِرَ بِهِمْ، وقد جرت عادةُ الله سبحانه في أمثالِهِمْ في قبائِلَ شَتَّى، شرقاً وغرباً من جميعِ مَنْ يَشُقُّ عَصَا المسلمين أن اللهَ تبارك وتعالى يحسم مادتهم، ويستأصل بِحَوْلِهِ وقوتِهِ شَأْفَتَهُمْ، وما هُمْ مقبوضينَ إلاَّ في رجلٍ نجيبٍ يَعْمَلُ بحسَابِ بلادهم، ويتَأَهَّبُ لَهَا أهبتَهَا ويستعِدُّ لهَا استعدادَهَا، ويستكثِرُ من كل شيءٍ يعرِفُ أَنَّهُ يحتاجُهُ في بلادهم، ومع هذا كلِّهِ يتَأَنَّى في جميعِ أموره، ويتوجه على مَهْلٍ إلى طرفِ بلادِهِمْ وَيُقِيمُ بِهَا، وقوافلُهُ تأتيهِ منَ المَشْمَسِ وغيرِهِ، وعيُونُهُ مبثوثةٌ على أولاد ادليم وعلى غيرهم من أولئك الجواليتِ جَزُولَةٍ[1] الذين صاروا يُعَضِّدُونَهُمْ ويكثرونَ سوادَهُمْ، وإذا وَجَدَ حاجتَهُ يثب عليْهَا وَثْبَةَ رجلٍ فيستأصلُ شأْفَةَ كلَّ قبيلةٍ اتصل بها، ولا يقتص منهم إلاَّ قَتْل الكبيرِ والصغيرِ والذكرِ والأنثى، يَقَعُ بِهِمْ وقعَةَ الدَّهْرِ، فإذا وقعَ بقبيلةٍ وقعةً تَسِيرُ بهَا الرُّكْبَانُ، وإذا أَبْقَى منهم أحداً فلا يسَعْهُ إلا التطارحُ على الحربِ أَوِ الجَلاَ الذي تَتَنَاوَشُهُ به المفَاوِزُ وتأكله الصحراء، ويريح النَّاسَ من سماعِ حِسِّ أولئكَ المَارِدِينَ في مرَّةٍ واحدةٍ، فمِثْلُ مَنْ يكونُ على هذِهِ الحالةِ نُحِبُّهُ يتوجَّهُ إليهِمْ، وقد فَهِمْنَا من كلامك في براوتك بَعْضَ العجَلَةِ على الحَرَكَةِ، وقد أحببنا أن تكون تلك العجلةُ في الإِسْتِعْدَادِ والأُهْبَةِ وتقويةِ كلِّ ما تحتاجُ إليه، وَتَفَقُّدِ أولئك العرب الذين تَتَوَجَّهُ في وسطهم تفَقُّداً تجدُهُ منهم إِذَا كنتَ معهم في الموضِعِ الذي تحتَاجُهُمْ فِيهِ، وأمَّا العجَلَةُ بالخروجِ فَلاَ، فَتَأَنَّى أصلحكَ الله، تَأَنَّى في أمورك، واعْرِفْ ما أَمَامَكَ، واعمل نجيباً بهِ، ولا تُهْمِلْ مِنْ جميعِ ما نوصيكَ به كلمةً واحدةً، ومسألةُ الخمسينَ عَوْدَةً التي طلبت منَّا واللَّهِ لقد عرَفْنَا أنك تحتَاجُهَا، لكن لَوْ كنْتَ أعلمتنا بها قبْلَ هذهِ الساعةِ لكُنَّا وجهنا إليك حتى مائةً، وهذه الساعةُ فقد كانت عندنا أزيدُ من ثلاثمائة عَوْدَةٍ من نتاج حَرَائِرِ هذِهِ الخيُولِ التي أحيَا اللَّهُ عرُوقَهَا على أيدِينَا، وتفضل علينا بأجرها وادخارها، وأَوْلَعَنَا بنتَاجِهَا، فكنَّا نختَارُ نتاجهَا على كل شيءٍ، فسخرنا على العوداتِ أصلحها الله، وكُنَّا اخترنا منها ستينَ عَوْدَةً لخرُوجِنَا، وما عندنا غيرُهَا، وقد ربطنَاهَا على ذمتِنَا، فلاَ نَسْخَى بِهَا، وحتَّى أنت ما نحب أَنْ نُحَشِّمُوكَ بعَوْدَةٍ واحدةٍ منها إذا نحن أعطينَاهَا لك، ووجدنا فيها شيئًا لعزتها عندنا، والعودات التي أَمَرْنَا لك بها هي التي

(١) قبيلة بربرية بسوس، الروضة ص١١٢.

ذَكَرْنَا لَكَ أننا سخرنا عليها، وأمَّا الحرابيات[١] عَوْدَاتُ الغَرْبِ فما يصبِرُونَ لتلكَ المَهَامِهِ، مع أَنَّ العودات هذه الساعة كلّهَا عامرة[٢] إلا النزر منها، لكن عندَنَا سربةٌ نَثِقُ بكَ أَنْ تكُونَ في وسطِهَا، وتطمئِنَّ نفُوسُنَا بطبائعِهَا منْ قِلَّةِ الطمعِ وقلة التفتف منهُمْ، وقوة الفائدة والنجدة والصبر والحزم والعزم، وهي أربعونَ فارساً، خيل فرادى المنابهة[٣]، واللّهِ إِنَّهَا أَوْلَى لَكَ مِنَ العَوْدَاتِ، ومن مائةٍ من الخيلِ، واللّهِ إِنْ شَاءَ الله إذا زَيَّنَ اللهُ عليك حتى يعمَلَ اللهُ لَكَ بها كُلَّ مزيةٍ، فاعلمْنَا نَبْعَثْ بهَا إليك مع أصحابك الذين معك، وما لك منهم إن شاءَ الله إلا ما يَسُرُّكَ ويُرْضِيكَ، فليَعْرِفْ وَلَدُنَا أصلحه اللهُ ما خاطبنَاهُ بِهِ ويفهمه، وَالتَّأَنِّي لك في الخروجِ مليحٌ، التَّأَنِّي حَتَّى تَتَأَهَّبَ أُهْبَةً تُرْتَضَى منكَ حَالُهَا مليح، وقد أرشدناك والله يعينك ويوفقك بمنه وكرمه.

واعلم أننا كُنَّا أمرنا العربَ حيث كانوا هنا عندنا يتوجهون معك بأولادهم، ولا يُبقون إلاَّ مَنْ أَضْعَفَهُ الكِبَرُ وحالات الصغرِ، فقالوا لنا: إن الواشين[٤] يثقلنَا، وكأنهُمْ ثَقُلَ عليْهِمْ ذلكَ، وأنت انْظُرْ كبارَ العرب ووجُوهِهِمْ ومن له قدرَةٌ وفيهِ قوَّةٌ مِنْ ذَوِي مَنِيعٍ وغيرِهِمْ، والْزِمْ كُلَّ واحدٍ منهم يتوَجَّه معَكَ بزوجتِهِ، فإذا عملوا دَوَّارَيْنِ أو ثلاثةً من الذينَ بنسَائِهِمْ فعليهم يرسمونَ. وحتى أنت انظر خادماً أو خادمين واجعلهُمَا مَعَكَ في غيبتِكَ لِئَلاَّ تضيقَ رُوحُكَ، وقد بيَّنَا لك كيفية أُهْبَتِكَ وخروجك في سلامةٍ وغنيمةٍ إن شاء الله، وإذا وصلت بِلاَدَ [إذاوبلال] فكَاتِبْهُمْ وقل لهم: أنتُمْ غيْرُ محسوبينَ مَعَ أولاد ادليم ولا تقبضهم فيهِمْ، وما كُنَّا نُنْكِرُ عليكُمْ إلا هذِهِ الميرة[٥] التي كنتم تمدُّونَهُمْ بِهَا، وهي اليوم مقطوعةٌ عليكُمْ وعلَيْهِمْ، وأنتُمْ دائما تتعلقُونَ بحالهَا، وأميرُهَا دائماً منْكُمْ.

وقد توجه مع أخينا أبي النصر ثلاثةٌ منكم، فارجعوا لبلادكم وأعقبُونَا لموَاطِنِكُمْ، وانظروا من يَرِدُ مِنْكُمْ على والدي نصره الله وإِنْ جَاءَ تَسَلَّفَ لَكُمْ تعطُونَنَا بعضَ

---

(١) في ص الحراميات.

(٢) في ص عاقرة.

(٣) قبيلة عربية، الروضة ص١١٤.

(٤) الأطفال الصغار.

(٥) في ص الميزة.

امنيرات[١] الذين يعْرِفُونَ البِلاَدَ وَيَدُلُّونَنَا[٢] على أولاد اديلم، فإنْ خَفَّ عليكم ذلك فاعطُونَنَا امنيرات وارجعُوا في حَالِكُمْ وَرَاءَنَا لبلادكم. فبمثلِ هذا الكلامِ تُكَلِّمُهُمْ مِنْ غيْرِ أَنْ تُنَفِّرَهُمْ مِنْكَ، ولا أن يفهموا من كلامك ولا من مكاتبك حرفاً واحداً من العيبِ فينفرُونَ منك بسبَبِهِ، ومن غير أن تُعْطِيهِمْ أَمَاناً، ولا تكتب لهم به، فلا تكلمهم ولا تكتُبْ لهم إلا بالكلاَمِ الذي يسكنهم ولا يُنَفِّرُهُمْ، وأعرض عنهُمْ، ولا تذكر عيبهم لقريبٍ ولا لبعيدٍ، فإن رأيتهم رجعوا وراءك وَاجْتَمَعُوا وَعَمِلْتَهُمْ بينَكَ وبيْنَ المَشْمَسِ، واسْتَقَرُّوا، وعَرَفْتَ أَيْنَ تَتَّصِلَ بِهِمْ، فَسِرْ إليهِمْ عَلَى حِينِ غفلَةٍ منْهُمْ، وإِذَا أَظْفَرَكَ اللهُ بهِمْ فلا تُبْقِ على أحدٍ من الجواليتِ، فعندَهُمْ نجعٌ كبير من الإبلِ، وأما الغنمُ فلا تُحْصَى كثْرَتُهَا، وهذه إحدى مسائل السِّرِّ وإحدى المسائلِ التي يستعمل النَّاسُ فيها ضروباً من السياسةِ والدهاءِ.

وقد أرينَاكَ طرفاً بما تخاطبهم به، ومدَارُهُ أنك تخاطبهُمْ بما يسكنهم ولا يُنَفِّرُهُمْ، وتغفل عنهم، وتَقُولُ لهم: ارجعوا لبلادكم وابعثوا بكباركم لسيدِنَا نصره الله، لكن على وجهٍ لا يصدرُ منك أمانٌ لهم، وإذا استوثقْتَ من رجوعهم ورَصَدْتَ فيهم الفرصةَ فقد أرينَاكَ ما تعملُهُ لهم، والله يوفقك إلى الخيرِ بمنِّهِ وكرمه.

وواحدة زِدْهَا لهُمْ في مخاطبتِكُمْ إياهم، قُلْ لهم: إنَّ والدي نصره الله لا يرى فيكم بأمرٍ واحدٍ مخصوصٍ، ولكن قالَ لِي: واحدة وهي أنَّ كُلَّ من كان مع أولاد اديلم وانفصل عنهم وترَكَهُمْ فما عليكَ فيه، واترُكْهُ ورَاءَكَ، وانبُذْهُ خلفك، وأنتم من جملةِ من كان معهُمْ، وكان يواصلهم ويمدُّهُمْ، فإذا أنتم فارقتمُوهُمْ وتخلفتُمْ عنهم فباعدوهم في النَّجْعَةِ والرتعَةِ[٣]، واتركوهم عنكم، وَشِبْهُ هذا مِنَ الكلامِ الذي يأنسون به ولا ينفرونَ، والله يُعِينُكَ وَيُيَسِّرُ عليكَ بمنه وكرمه آمين آمين. والسلام.

٥ ربيع الثاني عام ١١٠٩هـ .

---

(١) في ص أميزات.

(٢) في ص يلومونا.

(٣) النجعة والرتعة النجعة طلب الكلإ ومنها المنتجع، والرتعة الاتساع في الخصب، خصب وعشب يكفي للماشية.

# [الرسالة السابعة]

ولدنا الأرضى المأمون أصلحك الله وحفظك، سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد:

فأَخُوكَ[١] محرز هَا نَحْنُ وجهنا إليه عَمَّكَ عمر بن يوسف يُرَحِّلُهُ بالعقلِ من القصبةِ، ويمشي بالسلامة هو وأخوه شقيقُهُ، وإذا خرجَ فَسَكِّنْ بتلكَ القصبة مملُوكَنَا عبد الله بودشيش، وعشرةً من الأعلاجِ[٢] معَهُ بأولادهم، وهو يقبض لك تلك القصبة وَيَحْضِيهَا[٣]، ويكفيك إن شاء الله أمْرَهَا، وإلى أَنْ نوجه لك من عندنا من يعمُرُهَا ويسكنها ويشدها، وعبد الله بودشيش تحتَ نظركَ، كل ما تقُولُهُ لَهُ يَفْعَلُهُ، وَاللَّهَ اللَّهَ في أولئك العُلُوجِ الذين تُسَكِّنُ بالقصبة والَّذِينَ بالمنصورية[٤]، فالجميعُ تحْتَ نظركَ، لا يعملون إلاَّ بكلامك، وأنت اتْهَلاَّ فيهم [٥]واستوْصِ بهم خيراً، فقد أعجبَتْنَا سيرتَهُمْ وشغلَهُمْ، فشُدَّ روحَكَ فيهم، وَرُدَّ بَالَكَ منهم، ولا تفرط فيهم، ولا يَصِلُنَا عنك في جانبِهِمْ إلا ما يسرنا إن شاء الله ويرضينا، وها نحنُ كتبنا لهم يكونون تحْتَ نظرك، وَاللَّهَ اللَّهَ في إخوتك، اللَّهَ اللَّهَ في إخوتك، ولدِنَا الشيخ[٦]، وولدِنَا السعيد[٧]، اتْهَلاَّ فيهم، واستَوْصِ بهم خيراً وإحساناً، وكل ما يخصهم لديارهم بالقصبة اعطِيهِ لهُمْ، واكفيهم في كل ما يحتاجون، اللَّهَ اللَّهَ في إخوتك، ثم اللَّهَ اللَّهَ في إخوتك، فأنتَ الوَصِيُّ عليْهِمْ، اتْهَلاَّ فيهم، وَشُدَّ روحكَ معهم، ولا يصِلُكَ في جانبِهِمْ إلاَّ الخيرَ، فإنهم إخوتُكَ.

واعلم أَنَّ مَطْلَبَ توَاتْ بطأ مجيئُهُ هذِهِ السنة، فنأمرك أن تُحْرِصَ في مجيئِهِ، وَعَزْمِ أولئك الذين بقصدِ قبضِهِ، واكتُبْ لهم عليه، وَعَزِّمْهُمْ بمجيئِهِ، وإذا جَاءَكَ فأحضِرِ العدُولَ بين يديك وادفعْهُ لعمك عمر بن يوسف عَنْ آخِرٍ، بحيث لا تُبْقِي منه عندك ولو

---

(١) استخلفة والده السلطان على سجماسة ثم مراكش، زهر الأكم ص ١٧٥.

(٢) الأعلاج والعلوج أي من غير العرب

(٣) يحضيها بمعنى يحرسها.

(٤) قصبة مخزنية، المعلمة ٢١/٧٢٨٥.

(٥) بمعنى اعتني بهم.

(٦) ابن السلطان من أمه حليمة السفيانية، من قبيلة سفيان، زهر الأكم ص٣٧.

(٧) ابن السلطان من أمة لأولاد سيدي بن عيسى، نفسه ص٣٤.

درهماً واحداً، وأشهد عليه إذا دفعته له بالعدولِ، واكتب عليه بذلك، وأعْلِمْنَا بكَمْ دفعتَ له، وأمَّا الوصفَانِ الذين يأتون على العادة من توات فَوَجِّهْهُمْ لنا كلُّهُمْ يأتُونَنَا، ولاَبُدَّ بالعزمِ، وَثِقْ بما يقوله لك عمُّكَ عمر بن يوسف، ثِقْ بِهِ، وَشُدَّ روحكَ في أشغالك، وكن ضابطاً لكلِّ ما هنالك، والله يُيَسِّرُ عليك بمنه وكرمه. والسلام.

في ٢٢ ذي القعدة الحرام سنة ١٠٩٨هـ .

## [الرسالة الثامنة]

ولدنا المأمون أصلحه الله، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد:

فالذي يكونُ في علمك وَتَشُدَّ عليه يدَيْكَ أَنَّ أُولئِكَ الحَرَامِيّينَ أولاد ادليم وَاللَّهِ لا نسيْتُهَا فيهِمْ أبداً، وَحَتَّى يحفرَ الله جَذْرَهُمْ بحوله وقوته على يَدِ عبدِهِ، وأنت حيث توجهْتَ إليهم في هذه المَرَّةِ، واللَّهِ لقد توجهْتَ إليهم في عددٍ واستعدادٍ، ولكِنْ لَمْ تُحْسِنْ تدبيراً، ولم تجِدْ رأياً في شغلِكَ، وَفَاتَكَ من الحَزْمِ أَكْثَرَ ممَّا عمِلْتَهُ، ومن الرأْيِّ جاءَكَ ما جاءك مِنَ التزَنْلِيحِ، ولَوْ كُنْتَ أحسنتَ تدبيراً في وجهتِكَ لفُزْتَ بمزيةٍ كبيرةٍ عن جميعِ مَنْ غَزَى أولاد ادليم، فالرأْيُ هُوَ المُقَدَّمُ في كُلِّ شيءٍ، أَوَ مَا علِمْتَ أنَّ ابْنَ عمّكَ أحمد بن محرز رحمه الله ذلك العام حِينَ أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْ مراكش على أيدِينَا وتوَجَّهَ لدرعةٍ، واستوطنَ قصبةَ أغلال، وكان بِهَا فلما سمع حَسَناً بملوِيَّةَ، وعرَفَ أن حَقَّ اللهِ لا يُبْقِيهِ في ذلك المكان، وأيقَنَ أَنَّنَا إِنْ أصبحنَاهُ وأمسيْنَاهُ في درعةَ لا يجِدُ مفلتاً ولا مهرباً، ضَرَبَ الخمَاسِي في السُّدَاسِي وردَّهَا للرأي والتدبير، وكان مصطحِباً مَعَ يَعِيشْ العربي، وَرَحُّو بن بُيِّ، وأولاد الزبير.

فأَجْمَعَ عليهِ جماعةً منْهُمْ وقال لهم: إنَّ هذا الموضع لا ننجوا فيه من عَمِّنَا، والرَّأْيُ هو أن نخرُجَ لَهُ مِنْهُ وَنَدَعُ فِيهِ إِدَالَتَنَا، ونقبضُ هذِهِ البريةَ التي على المَشْمَسِ، وننظرُ مَا يعمَلُهُ، فإِنْ هُوَ رَجَعَ من ملويةَ لبلادِهِ أَوْ شَرَّقَ فنرجعُ لبلادنا، وإِنْ هُوَ أَتَى لدرعةَ فنَجِدُ معنا الوَسْعَ، وما وَالاَنَا إِلاَّ القَفْرُ، فقالوا له جميعاً: هذا هو الرأْيُ، فجعَلَ خبَاءَهُ في وسط حللهم، وجمعهم عليه كلهم، وضبطهم وصار بهم جميعاً وبمن معه لذلك المَشْمَسِ، فتلقَّاهُ أهلُهُ بكُلِّ ما أَحَبَّهُ منهُمْ، وتَلَقَّتْهُ حربيل[1] فأخذهم وقتلهُمْ ووطأهم وطأةً مليحةً، وتلقاه التمناري وَحَابَاهُ وَنَفَعَهُ. ودخل لتَاسْرِيرتْ وتلقاه آيت بوعمران فَشَارُّوهُ، [2]) نحْوَ العامين إلى أَنْ ظَفِرَ بِهِمْ، وعَمِلَ فيهم تلك المقتلَةَ التي ارتعدَتْ بها أهلُ سوسٍ كلهم، ومن آيت بو عمران مَا وَجَدَ مَنْ يُشَارُّهُ، وَوَصَلَ لتارودانت واستولى على سائر قبائلِ

---

(١) قبيلة من القبائل.

(٢) بمعنى خاصموه.

سوس، ولا بَقِيَ من يَرْفُدُ يَدَهُ[١]) من سائرِ سوس، وجعل منهُمُ الجيْشَ والعيْشَ، وأعطوه كُلَّ ما أراد منهم حتى امتلأت يَدُهُ، وطلبَهُمْ فِي الحرَاطِينِ[٢]، فجمَعَ عليه بتارودانت أربعةً وعشرينَ ألفاً، وشحَنَ تارودانت بالزرعِ والزيتِ والسمن والرصاص والبارود وَكُلِّ ما يحتاجه، وَاللَّهِ إلاَّ حَتَّى الدراهم جمَعَ منها وَعَمِلَ فيها حوائجَ كباراً. ولما أتى الله بِنَا لتارودانت وجدنَاهُ محتالاً من كُلِّ شيءٍ، فَشَارَّنَا نحو العامينِ، وَشَارَتْنَا تلك الحزمةُ التي كان جَمَعَ بَعْدَهُ نحْوَ العام، وهذا كلُّهُ من حسنِ التدبير وجودةِ الرأي، وَعَمِلَ هذا كله وهو يَخَافُ على نفسِهِ وعلى مَنْ مَعَهُ، وأنتَ إنْ أحببتَ مزيةً، أو أردتَ نتيجةً، أو أحببتَ فائدةً تَنْسَى بِهَا هَذِهِ التَّزبْلِيحَةَ[٣]) التي فَاتَتْ لَكَ فَهَا أَنَا أَدُلُّكَ بتوفيقٍ من اللهِ على رأيٍّ مباركٍ سعيدٍ إن شاء الله، تبدَأُ في الإستعدادِ إليه منَ اليَوْم إنْ أحبَّ وَلَدُنَا نتيجة وفائدة، وذلك أن تعلم عرَبَ الركيطة كُلَّهُمْ مِنَ اليَوْم، المنيعي والصباحي والمحمدي والعريبي، تُعْلِمُهُمْ يكونُونَ كُلُّهُمْ على أهبةٍ واستعدَادٍ يرتحلُونَ معك بحللهم، ولا يتخلف أحدٌ منهم عنك لا بمَالٍ ولا بغيرِهِ، وعريبٌ كُلُّ مَنْ لَمْ ينْزِلْ معكَ بخيمَتِهِ تَقْتُلْهُ. فبهَذَا تُعْلِمْهُمْ يَعْمَلُونَ على حسابه، فإذا أعلمتهم وتهيَأْتَ أنتَ فليَقْدِمْ إلينا وَلَدُنَا نتكلَّمُ معَهُ وَنُرِيهِ من الرأي ما يباركُ اللهُ له فيه، وذلك أنكَ إذا كَمَّلْتَ استعدادك وجعلت خزانتك وإقامتك وكل ما يليق بك لِلحَرَكَةِ تجْعَلْ خبَاءَكَ في وسطِ حُلَلِ العربِ، وإن كان عندك سربةٌ تتوجه بها، يحمل العربُ علفها ومؤونتها على إبلهم، وتريح نفسك من ذلك، ولا يعرف أصحابك إلا عدتهم. وفي كل ليلةٍ يقبضون علفهم ومؤونتهم من عند من كانت فيه النَّوْبَةُ منَ العرَبِ، وَتُرَتِّبْ أصحابك هؤلاَءِ علفهم ومؤونتهم عند بني فلان، وهؤلاء عند بني فلان، حتى يعْرِفَ كُلُّ واحدٍ صاحبه، ويرفدُ كل واحدٍ من العربِ من هؤلاء مَا يكفيه لصاحبِهِ، كما عمل أخونا مولاي الرشيد رحمه الله حيث حَرَّكَ لِلبِيضِ أولاَدَ أخينَا، فجعَلَ نُجُوعَ العربِ في صدرِهِ، وأمرهم بحمْلِ علف أصحابه ومؤونتهم من هرْيِهِ، وكانوا كُلَّ عشية يقبضون علفهم ومؤونتهم، كُلُّ واحدٍ يعرف أصحابه، فلم يشغله مخزنيٌ ولا وصيفٌ عمَّا أراد، فَرَوَّحَ أصحابه ونفسَهُ بذلك حتى قضى غَرَضَهُ.

---

(١) بمعنى يرفع يده.

(٢) الحراطين أي العبيد.

(٣) بمعنى الخديعة.

وكذلك نُحِبُّ ولدَنَا يعمل في هذه الحركةِ المباركةِ إن شاء الله، وتظَلُّ مع كبراءِ العرب، وإِشْرَافُكَ وَرَأْيُك أمامكَ، ويجهدون لك المِيَاهَ، ويرتَادُونَ لك الريعَ، وأنت تتشاور مع أشياخهم، هذه الدارُ تَلِيقُ بنا، فتساعفهم في غَرَضِ شبعِ إِبِلِهِمْ هُوَيْنَه هُوَيْنَه، بحيثُ لا تتقلق ولا تضجر من المهل، فالمخزنُ [١] كما قال الناسُ يقبل الغزالَ بالكريطة، فكلما أعجبَتْكُمْ دَارٌ أو موضعٌ للكسبِ أقمتُمْ بِهِ، واسترحتُمْ فِيهِ، وكل من أحبَّ الكيْلَ حينئذٍ من العرب ووالتْهُ درعةٌ أو المَشْمَسُ أو غيرهما فلا بأسَ به. وأما كَيْلُ اليوم فلا تَدَعْ أحداً يكتَالُ، وتبقى بالرحلةِ والنزلةِ إلى أن تجيءَ في طرفِ البلادِ أولاد ادليم، وتنظر ما يعملونه ساعتئذٍ، فإن هُمْ هربوا للشريقية على عادتهم فأربعمائة من الخَيْلِ تكفِيكَ فِيهِمْ، تجلِسُ أنتَ في موضعك وَتُزَمِّلُ [٢] لها، وتبقى حتى ياتونك بهم، فَأَيُّ شيءٍ عندَهُمْ يعملُونَهُ أنتَ فِي بلاَدِهِمْ، والعطشُ أَمَامَهُمْ، والخيلُ وراءهم، وإن هُمْ هرَبُوا للساحلِ فذلك مانُرِيدُهُ منهم، فمن حَازَ نفسَهُ على البحر ما بَقِيَ ما يعمَلُهُ، وليسَ عندَكَ أهون من ذلك، تجعلهم بين عينيك وتقصد إليهم، فأنتَ من جهةٍ والبحرُ من جهةٍ. وهذا هُوَ الرَّأْيِ لمن أرادَ استئصَالَ شَأْفَةِ أولاد ادليم، وهَلْ غَزْوُكَ إياهم، ونهُوضُكَ إليهم من طرَفِ بلاَدِهِمْ كغَزْوِكَ إياهم من تافيلالت، ما تصِلُهُمْ حتَّى تَكِلَّ الخيلُ وَتَعْيَا الإبلُ ويفرغَ الزادُ، وَهُمْ فرق نِعَامٍ، ما عندهم معولٌ إلاَّ الهروبُ في تلك البرية، فإِنْ غزَوْتَهُمْ في طرفِ بلادهم لا ينفعهم هروبٌ سواء كانوا مجتمعين أو متفرقين، فهذا هو الرأْيُ الذي يهلِكُهُمْ اللهُ به بحوله وقوته. فليشتغِلْ وَلَدُنَا بالإستعدادِ والكلام مع العرب من اليوم، وفي وقْتِ الربيعِ إن شاء الله يكون النهوضُ بحول الله وقوته، وإذا قرأت كتابَنَا هذا أسمَاهُ الله وأعزه، فاتكل على الله في التعويلِ عليه، واكتب لكلِّ قبيلة من قبائل هؤلاء العرب الذين ذكرنا لك نسخة من كتابنا هذا أسماه الله، وانظر من يقرأ على كل قبيلةٍ كتابَهَا، بعد أن يجمَعَ عليه خاصتَهَا وعامتَهَا. وَقُلْ لهم: بالله الذي لا إله إلا هو مَا مِنْ عَرَبِيِّ منكُمْ تخلَّفَ في هذه المرَّةِ، أو لم يَقِفْ قيامَ استعدادٍ صحيحٍ لهذِهِ الحركةِ، كبيراً كان أو صغيراً، ضعيفاً أو قوياً، حتى أَقْتُلَهُ وَأَحْفِرَ جَذْرَ قبيلتِهِ الذي هو منها، واقْسِمْ لهم بأَيْمَانٍ يعرفون منها الجِدَّ حتى لا يُحْدِثَ أحدٌ منهم بالتخلُّفِ عنك، واللَّهِ وَاللَّهِ إن شاء الله إن تخلفَ أَحَدٌ عنك حَتَّى أَحْفِرَ جَذْرَهُ بحول الله وقوته ولا أحنث فيهِ إن شاء الله. والسلام.

---

(١) كناية عن السلطة.

(٢) من الزمل أي الرفقة.

# [الرسالة التاسعة]

ولدنا المأمون أصلحك الله، سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد:

فإنَّا رأينَاكَ تتطلعُ للسرايا والغوانِجِ[١] وتحبها وتتشوف إليها وتريدها، وتتحدث بها وتذكرها، وذلك من طبع الرجَالِ أهل الهمم الكبار، غير أنا كنا نُنْكِرُ عليك اقتصَارَكَ على هذه النجوعِ القريبَةِ، لغَزْيِكَ في ذلك النهار على حمْيَانٍ، وقد أحببنا أن تسمو بك همتك، وتطلع بك نجدتك إلى القبائل البعيدة التي تسير إليها في الجيوشِ الكثيفةِ، وتسير إليها الأيام والليالي ذوَاتِ العدد، وتضربها بِعَصَا الحقِّ، وتعمل بذلك حسنة جاريةً، فإذا كنت رجلاً فَهَا رُؤُوسُ الضلالِ وَذَوُوا النكثِ والزيغِ، ومشاهيبِ الفتَنِ أولاد عبد الله بن موسى، اتَّكِلْ على اللهِ سبحانه وتعالى. وإذا قرأت كتابنا هذا أسماه الله تهيَّأْ لغزيهِمْ، وجهِّزْ أصحابكَ واجمع عليك من يَلِيقُ بكَ من عربِ تلك البلاد، واستفتِحِ الشهرَ القابلَ، وانهض نهوضَ رجلٍ، وتوجه في حفظ الله وأَمَانِهِ إليهِمْ، فَهَا وصيفنا منصور بن الرامي[٢] كتبنا له يجمعَ عرَبَ الشَّرْقِ، ويخيم برَأْسِ العينِ في ميعادك ويرْجَاكَ هنالك، فإذا اجتمعت به فاضبط محلَّتَكَ، واقصد حاجتك، واتبع أولاد عبد الله حيْثُمَا كانوا، فإذا أظفرك الله بهم فلا تُبْقِ على أحدٍ منهم، ولا ترجع عنهم حتى يمَكِّنَكَ الله منهم بحوله وقوته، فأولئك الكِلاَبُ هُمُ الذين يستحقون الغَزْيَ والأخذَ والقتْلَ. وفيهِمْ وَفِي أعنَاقِهِمْ من الأَيْمَانِ ما يقيدهم الله سبحانه بين يدَيْكَ، فواللَّهِ لولاَ أَنَّ اللهَ سبحانه جعلنا في مقابلةِ ما هو أَهَمُّ منْهُمْ من محاصرةِ مدينَةِ العرائِشِ، ومباشرةِ المسلمين بما يرجونه من الله سبحانه من فتحِهَا، وجيشُ اللهِ مستديرٌ بها، ما كُنَّا نُقَدِّمُ على غَزْيِّ أولاد عبد الله شيئاً، وأنت بعون الله حيث تَاقَتْ نفسُكَ إلى السرايا فلا تَجِدْ أحسنَ مِمَّا أمرناك به وأرشدناك إليه. فاتَّكِلْ على الله سبحانه، وانهَضْ إليهم في غُرَّةِ الشهرِ القابلِ، مستعيناً بالله، واثقاً بالظفر إن شاء الله، وعلى اللهِ الكمالُ، وهو على مانقول وكيل، وخيلُكَ انْظُرْ منهَا الصحيحَةَ التي تصبِرُ لك على السَّيْرِ وتطيقُ المشي الليل

---

(١) السرايا الإماء المملوكة، والغوانج مفرده الغنج بمعنى الفتاة.

(٢) من ولاة السلطان من تازة إلى تلمسان، توفي في الحرب مع أتراك الجزائر، زهر الأكم ص ١٥١.

والنهار، واكْسِ أصحابَكَ فَإِنَّ الوقتَ باردٌ، وانظُرْ إِبِلاً صحيحةً لِلزَّمْلِ[1]، وهاهي العربُ الشرقيةُ تجِدُهَا مجموعةً إن شاء الله في بني يعَلاًّ، والله يظفرك ويغنمك. والسلام.

في ١٧ فاتح سنة ١١٠١هـ .

(١) الزمل بضم الزاي وسكون الميم الرفقة والجماعة، وفي الاصطلاح العسكري دواب الجيش، ويسمى مكان نزولها الزمالة من معانيه أيضا الحمل والإبل التي يحمل عليها، رسائل السطان لابن منصور.

# [الرسالة العاشرة]

ولدنا الأعز الأرضى مولاي المأمون أصلحه الله، سلام عليك ورحمة الله وبركاته، لا زَائِدَ بحمد الله إلاَّ الخيرُ والعافيةُ، والنِّعَمُ من الله المتوالية.

أما بعد:

فاعلَمْ أَنَّكَ مَا استوجبت رضَانَا عنك، ووجدت خاطرنا أكثر من كل أحدٍ إلا بنيتك الصالحة ونجدتك ومبادرتك لكل ما تعرِفُهُ يرضينا عنك، فإذا أحببتَ أن تنالَ رضانا المطلق العام، وأردت صفاء خاطرنا عليك من كل وجهٍ وعلى كل حالٍ فالمسألَةُ التي ترانا نؤكدُهَا مَرَّةً فَأَكِّدْهَا عشرَ مرات، واعتني بها اعتناء الرجال أهل النجدة والفائدة والجِدِّ، وتحزم بها واعملها، ولا مسألة نُؤَكِّدُ بها تأكيداً.ولا أوجب من مسألةِ تسكين إخوانك والإعتناء بأمرهم لأننا أحببنا أن يعمرُوا معك، وأن يسكنوا سكوناً مليحاً، يسكن خاطرنا من جهتهم، بحيث يتعلمون الجِدَّ والفائدةَ والخدمةَ على أرواحهم. فإذا كان كُلُّ واحدٍ من إخوانك يجري على متاعه الذي أعطاه الله له على يَدِنَا، ويعرِفُ نخْلَهُ وأرْضَهُ وما ينوب داره، ولا يحتاجك إليه إلاَّ في صرْخَةٍ أو حاجةٍ غير المعاشِ، وأغناه الله عن التملُّقِ والنظر لمَا في يدِكَ، ووجدت أخاك لا يثقُلُ عليك بطلبَةٍ ولا إلحاحٍ فذلك هو الأَخُ، وتلك هي النعمَةُ التي يحبها الرجلُ ويفرح بهَا قلْبُهُ، وتطيب من أجلها نفسُهُ وخاطرُهُ. واعلم أن البلاد التي اشترينا من أهل الغرفة[1]، وهي [تامركنت] أعطيناها لإخوانك مولاي عبد المالك[2] ومولاي عبد الرحمان[3] ومولاي الحسين[4]، وصرَّفْنَاهَا عليهم صرفاً كلياً، أبداً سرمدياً، فَأَجِزْهَا لإخوانك المذكورين، وأشهدْ علينا بذلك، واللَّهَ واللَّهَ، ثم اللَّهَ اللَّهَ، ثم اللَّهَ في إخوانك، أَلِّفْ قلُوبَهُمْ إليك، وحببهم فيك، وتحَبَّبْ لهم بالعدل فيهم والإحسان إليهم، والتحريض لهم على الجِدِّ والتقى والفائدة والعفاف، وَغُضَّ الطرفَ من غير متاعهم المُعَيَّنِ مِنَّا لَهُمْ.

---

(١) مكان من تافيلالت حيث يقيم الشرفاء العلويون.

(٢) ابن السلطان، ولاه على درعة، لما فشل في قتل أبي النصر الخارج على أبيه تضرع بحرم المولى إدريس بزرهون، قتل سنة ١١٥١هـ، المنزع اللطيف ص ٢٢٨.

(٣) ابن السلطان من أمه معزوزة من بني مالك، زهر الأكم ص ٣٣.

(٤) ابن السلطان من أمه معزوزة نفسه ص٣٣.

وهذا خديمنا عبد الحق بن الصغير، هو رجلٌ مليحٌ، وكان عندنا على الفصَّةِ[١] بتانوت، وابن أخيه خديمنا عبد الهادي هو عندنا قائدٌ على جميع تانوت وأحوازها، وهو واقفٌ على لسانِ الجِدِّ والإعتناءِ في أشغاله، وعمُّهُ هذا ما رأينا من يَلِيقُ بذلك الأصلِ الذي صرَّفْنَاهُ على إخوتك المذكورين إلا هو، فلذلك وَجَّهْنَاهُ في حفظِ الله وكلاءته يجْرِي لإخوانك على متاعهم، ويقِفُ لهم على أصولهم وُقُوفَ الجِدِّ والإجتهاد، فنؤكد عليك أشدَّ التأكيدِ أن تَتَهَلاَّ فيه، وتستوصي به خيراً وإحساناً، وكل غرض يتوَقَّفُ له عندك مِمَّا يعُودُ نفْعُهُ على إخوانكَ إن شاء اللهُ اقضِهِ له من حِينِكَ، ولا تتوَقَّفْ فِيهِ، وَأَلِنْ لَهُ الجانبَ، وزِدْهُ تحريضاً من عندك على الوقوفِ والجري على أصول إخوانك، وإذا احتاجت البلادُ إلى زيادةِ بعضِ النوبِ من الماءِ فاشترِهَا له وأَعِنْ بها إخوانك، أعانك الله على كل خير وأصلحك، لأنَّ الماءَ أمرُهُ أكيدٌ، بِهِ تزدَادُ الأملاكُ صلاحاً وخيراً وملاحةً، فكل ما قدرت أن تنفع به إخوانك في أصولهم بماءٍ أو غيره لا يزيدك ذلك مِنَّا إلا رضى ومحبةً في قلوبنا، وإذا احتاج عبد الجبار لبعضِ الخدامين والمشاغيلِ من أهلِ أولئك الناحيَةِ فخُذْ بيدِهِ فيهِمْ، وحررهم له، فهو لَمْ يُعَيِّنْهُمْ الآنَ مِنْ هُنَا، ولكن بعد أن يكون هنالك هُوَ يدبر فيمن يعينُهُ على وظيفِهِ وتكليفِهِ بذلك الشغل، وفيمن يأخذُ بيده. وأنت أصلحك اللهُ شُدَّ روحكَ معه، وَرُدَّ بالَكَ إليهِ، فإن من نَفَعَ إخوانك وجرى لك على أصولهم ومتاعهم الذي يغنيهِمْ عنك وعن غيرك في أمرِ معاشهم ما نَفَعَ في الحقيقةِ إلا أَنْتَ، ولا عَمِلَ الخيرَ إلاَّ معَكَ، فاللَّهَ اللهَ فيه.

ولا أحتاجُ إلى مزيدِ تأكيدٍ عليك في هذا الأمر، فإذا كنت وَلَدَ حلالٍ كما نعتقِدُ فيكَ، ونعرِفُ منك، فأنت الذي تؤكد مسألةَ إخوانك أكثر مما نؤكدها نحن، وإذا سمعت منا كلمةً واحدة في التحريضِ على شأن تسكينِهِمْ والإعتناء بأصولهم وأملاكهم تزيدُهُمْ أنتَ في ذلك فَوْقَ جهدِكَ وفوقَ طاقتِكَ، وعلى كل حالٍ الوصيةُ ها نحن أوصيناك وحرضناك، واعتقادُنَا فيك جميلٌ لِمَا نعلَمُ أنك تعمل بها وتعتني بشأنها، واللَّهَ اللَّهَ في إخوانك الآخرين الذين في الجاررة، رُدَّ لهُمْ البَالَ، ولا تغفل عنهم، والإِدَامُ الذي يخصهم هَا نحن تكلَّمْنَا مع خديمنا عبد الله الروسي، وألزمناه أن يبلغ لهم ما يحتاجون

(١) نبات لعلف الماشية.

إليه من الإِدَامِ[١]، ولا تَغَافَلْنَا عنهُمْ ولاَ نَسَيْنَاهُمْ، غير أن محمد بن الشريف لما أَنْ كَانَ شَوَّشَنَا [٢]قبلَ هذا أفْسَدَ عليهِمْ ما كُنَّا نزَّلْنَاهُ لهُمْ وعيَّنَّاهُ إليهم من مؤونتهم، وإلى الآن هَا هُوَ يصلهم إن شاء الله على يد خديمنا عبد الله الروسي. والسلام.

وبه كتب في ٢ من رجب الفرد عام ١١٠٢هـ.

إلحَاقُ نَصِّهِ: والخيرُ الذي تعمله فينا وفي نفسك وفي إخوانك هو مسألةُ ساقيةِ [تامركنت] لا تقطع عنها أبداً، ولا يشارِكُهُمْ فيهَا أَحَدٌ أبداً سرمداً، وَشُدَّ روحَكَ في عبد الجبار، شُدَّ روحكَ معه، أَعِنْهُ، أَعِنْهُ، أَعِنْهُ على أملاكِ إخوانك في كل ما يحتاجك إليه، أو يطلبُهُ منك، ولا تغفل عنه بوجهٍ من الوجوهِ، وهذه البراوَةُ[٣] بعد أَنْ أرسلنا لك أُخْتَهَا مع وصيفنا حمو بن أبي الحمين والكاتب السيد محمد الصغير، المدعو هَامَانْ، أردفنَاهَا لك بهذِهِ تأكيداً عليك، فاللَّهَ اللَّهَ، ثم الله الله، ثم الله الله في مُضَمَّنِهَا، والله يُرْضِي عنك، ويصلح رأيك، ويثمر غرسك، ويجعلك من أولادِ الحلالِ، ويسدد رأيك، وينبتك نباتاً حسناً آمين، يارب العالمين، صح به في تاريخه، انتهى.

---

(١) كناية عن الزيت والسمن.

(٢) شوشنا بمعنى أقلقنا.

(٣) أي الرسالة.

## [الرسالة الحادية عشر]

ولدنا مولاي المأمون أصلحك الله، سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد:

فاعْلَمْ أَنِّي كنت أتكلم مع ذلك الأَبْلَهِ ابن أخينَا عبد الكريم بن محرز، وهَا هُوَ عندنا وأَرَادَ الإنصرافَ، ولا تَظُنَّ أن فيه عمارةً، فَمَا تَمَّ شَيْءٌ، ولا تتعَامَى على أحدٍ من الشرفاء تظهَرْ لك فيه منقصَةٌ، أو بيانٌ على قبيحةٍ، أو يصدر منه تعَدٍّ على أحدٍ، أو يفحش، أو يخرج عن حدِّهِ في مسألةٍ، ولا تَقِلْ أحداً منهم في الحَقِّ، واعْتِبْ على من استحقَّ العَتَبَ مِنْهُمْ. واشْدُدْ، ولا تتعامى لأحدٍ منهم في شيءٍ أصلاً، والحقُّ أولى في القريبِ والبعيدِ، فلقد قال لي: أردت الإنصرافَ عن داري، فقلت له لماذا؟ فقال: إني أخاف من السرقةِ، فقلت له ومن يشتغل بِهَا في تافيلالت؟ فقال: ما رأيت من يسرق هنالك هذه الساعة إلا العبيد، عبيد اكناوى[1]، لأنهم كثرُوا عند الشرفاء جداً، فسكَتُّ عنه، ونسيتُ أَنْ أكتبَ لك على هذه المسألةِ حينئذٍ. وأنا كنت عازماً على أَنْ أكتبَ لك على شأنها ثَمَّةَ في الفورِ بلا بطءٍ، إلى يوم كتبه كنت أتحدَّثُ مع خديمنا دحمان غرنيط على ما فعَلَ بِهِ عبيد اكناوى من الضربِ والقتلِ ذلك العامِ، فتفكرتُ فيما قال لنا ابن أخينا عبد الكريم بن محرز، وقال لي بعدها: وكذلك أخونا العباس بن الشريف، ولا بَقِيَ شكٌّ في أن عبيدَ اكناوى كثرُوا بتافيلالت، ولا يعمل ذلك العَمَلَ إلاَّ هُمْ. وإذا كان كُلُّ شريفٍ له عبدٌ أو عبدانِ، وكلُّ واحدٍ من الشرفاء له اثنانِ أو ثلاثةٍ فهم الآن بتلكَ البلاد مثلُ عددِ الشرفاء وأكثر، فمن كَثُرَ مَالُهُ من الشرفاء لا يصبر حَتَّى يعملَ عبداً أو اثنين فيصيرون هم أقوى من غيرهم، ومن عَمِلَ عبْدُهُ عَمْلَةً، أو سرق سرقةً يقول أحدُهُمَا: عبدُكَ عَمِلَ كذا وكذا، أو سرق كذا، يقول لَهُ هُوَ: عبدُكَ هُوَ الَّذِي عَمِلَ ذَلِكَ، وعبدي ما عَمِلَ شيئاً، ويعظمُ فسادهم على الناس، ولا يبقى جنانٌ ولا دارٌ إلا ويدخلونها، ولا تمرٌ إلا ويعملون اليَدَ فِيهِ، ولا كرطٌ إلا ويسرقُونَهُ، ولا حاجةٌ يفرّطُ فيها صاحبُهَا ولو ساعةً إلا وتسرق، ولا يظهر لها أثرٌ.

---

(١) عبيد أكناوي. الذين يتعاطون لموسيقى كناوة.

فبِاللَّهِ الذي لا إله إلا هو لا قَبِلْتُ منْكَ فيهِمْ عذْراً، إلاَّ تحزم فيهِمْ على كُلَّ من قبضتَهُ منهُمْ أصلاً، وخصوصاً عبيد أهل وادي أفلي منْهُمْ، ولا تَقِلْ منهُمْ لا عبيدَ أَبيكَ متاعنا، ولا عبيدَ الشرفاء، ومهما أُوتِيَ لكَ بعبْدٍ سَرَقَ، أو دخل داراً، أو رمى اليَدَ في دارٍ أو جنانٍ، فاقدِمْ به لوسطِ السوقِ على ملأٍ من الناس، ثم اضرب رقبته، وذلك موضعُهُ، ولا تدفنه حتى الدفنِ، والشريفُ لا يَبيتُ في داره من عندِكَ إلا بعبدٍ آخر مثْلَ عبْدِهِ، حتى لا يبقى على النَّاسِ منهُمْ ضررٌ أصلاً. ولا تُطْلِقْ لهم بطرفٍ، ولا تجعلِ الشرفاء يعملون لك عبيدُهُمْ في الناسِ الفعالَ القبيحةَ، ويصيرُ كُلُّ واحدٍ منهم يرمي دعوى عبدِهِ على عبدٍ الآخر، ولا تجِدُ أنت ما تقبِضُ منهُمْ، وهُمْ بأروَاحِهِمْ الشرفَاءُ أَقْعِدْ كُلَّ واحدٍ منهُمْ عندَ رأْسِهِ، وأَرِيهِ ما يليقُ بهِ في نفسِهِ، ومن جاءَكَ منهم على دعوى مع صاحبِهِ افرقْ مَعَهُ فيهَا بِمَا اقتضَاهُ النَّظَرُ في الوقتِ، وتكلم معه وأنصفه إِنْ كان مظلوماً، واضْرِبْ على يَدِهِ إِنْ كَانَ ظالماً. ومن جاءك يُحَشِّمُكَ[1] بطلَبِهِ ويريدُ أن يشمتَ فيكَ منهم قُلْ لَهُ: إذا أحببتَ أن تطلُبَ ولك حاجةٌ في شيءٍ علَيْكَ بوالدنا نصره الله، وتَفَادَى مِنْهُ ذلك، وتخلَّصْ منه بحسن التخلص، ولا تعطيهم فيك الرخَاءَ للطلبِ، فلا يرجعون عنك، ولا يَفُكُّكَ مِنْهُمْ شيءٌ، ولا تأتي لهم على غرضٍ أصلاً، ونحن نعرِفُ كُلَّ واحدٍ منهم وما يستحِقُّ، ولا نستحي منهم في الحقَّ إِنْ جاؤونا، ونعرِفُ منهم ما لَيْسَ تعرِفُهُ أنتَ ولا غيرك، ولا يقدر أَحَدٌ منهم أن يفُوهَ لدينا إلا بِمَا لاَبُدَّ لَهُ منه.

ونقول لك مسألةً عن وَالِدِنَا مولاي الشريف رحمه الله، سمعتُهَا مِنْهُ بِأُذُنَايَ هَذِهِ، ووعيتُهَا منه، ولم أنسَاهَا من ذلك الزمان إلى الآن، وهي أَنَّ والدَنَا مولاي الشريف رحمه الله لَمَّا أَبْصَرَ أخانا مولاي محمد بن الشريف رحمه الله يسرفُ في قتلِ عبيده كل يومٍ وعَلَى أَدْنَى شيءٍ، ولا يقبل لهم عثرةً، أغاضَ فعْلَهُ والدُنَا رحمه الله، ولم يقبل له ذلك فيهم، وبعث إليه من مكانه وأنا حاضرٌ واعٍ لهذهِ المسألةِ يخاصمه ويعاتبه على قتلِهِمْ، فقال للذي جاءه من عنْدِ والدنا قُلْ لَهُ: اللَّهُ يُبَارِكُ فِي عُمُرِهِ، العبيدُ ليس لهم عقلٌ ولا فيهم حَسَبٌ يرتدعُونَ به عن القبيحِ، وأنا عندي مِنْهُمْ بتافيلالت اليوم نحو ستة عشر مائة من العبيدِ، وأهل تافيلالت عندهم مائةُ دشرةٍ، فإذا أطلقنا لهؤلاءِ العبيد على أغراضهم هذا يسرقُ داراً، وهذا يسوسُ نخلةً من خبان، والآخرُ يحصد كموناً من زرعٍ

(١) بمعنى يحرجك.

ويحمِلُهُ في شَامِيَتِهِ، وهذا يرمي يدَهُ في هذا، وهذا يتعدَّى على هذا، فتبقى تافيلالت علينا خاليةً من فِعْلِ هؤلاء العبيد، وكلُّهُمْ يفِرُّونَ منَّا ويتسللونَ لمحمد الحاج بالزاوية[١]، وندور نحْنُ مَعَ مَنْ نُعَمِّرْ تافيلالت ولا نَجِدُهُ، فأنَا إنْ تغافلتُ عن العبيدِ، وتجاوزتُ لهم في العقابِ يَا أَبِي يُنْشَئُ عن ذلك فسادٌ كبيرٌ في البلدِ، ولا يردهم عنه شيء إلا الصحيحُ، فبالأمسِ عَمِلُوا اليَدَ في العُلُوجِ، وقبلها سرقوا الكرطَ[٢] من الموضعِ الفُلاَنِي، وَعَمِلُوا كذا وكذا، وَعَدَّدَ عليه مع الذي جَاءَهُ من عنْدِ والده مسَائِلَهُمْ كُلَّهَا، فلما بلغ لوالدِنَا كلاَمَهُ رحمه الله عَلِمَ أَنَّهُ ما أَجَابَهُ إلا بالحقيقة، ولا خاطبهُ إلا بالصدق، ولا رَدَّ عليه إلا بالحذرِ بما لابد منه من واضحِ العذرِ، فحينئذٍ قال له: قُلْ لَهُ: أحسَنْتَ أحسنت، والرأيُ ما رأيْتَ، ولم يَبْقَ له عليهِ عتابٌ بعد ذلك اليومِ أصلاً، وأنت اليوم إذا تغافلت عن العبيدِ في تافيلالت، وأطلَقْتَ لهم على شهَوَاتِهِمْ، ولم تُخَدِّمْ فيهِمْ السيْفَ يلعبُونَ بكَ مَعَنَا، ولا تأْمَنْ عتابنَا وغضبَنَا، فالشرفاءُ والحمد لله كثيرونَ، وعبيدُهُمْ شَتَّى، وَهَاهُمْ يطلقونهم بوادي أفلي وبتافيلالت فَوْضَى يعملون في الناسِ ما أَحَبُّوا وما أَرَادُوا، وإذا سُرِقَ شيءٌ أو وَقَعَتْ في البلدِ قبيحةٌ كُلُّهُمْ يتبرَؤُنَ لكَ منْهَا، ويصير هذا الشريفُ يقُولُ: عبدُكَ هُوَ الذي عَمِلَهَا، والآخرُ يقولُ: ما عَمِلَهَا إلا عبْدُكَ فلانٌ، وعبْدِي ما عَمِلَ شيئاً، ويكثرُ فسَادُهُمْ بسببِ ذلك، فنامرك أَنْ تَتَحَزَّمَ للعبيدِ بحزَامِ الجِدِّ، وَرُدَّ لهُمْ بالبالِ، وخدم فيهم السيفَ، ثم السيفَ، على قدرِ جرائمهم وطغيانهم، فالشريفُ إن عَمِلَ عَبْدُهُ عَمْلَةً، أو جَنَى جنايةً لا تقول له شيئاً، وعبدُهُ اقبضهُ واضربهُ بالمخَارِيطِ[٣] في وسطِ السوقِ، وهو ينظرُ إليه، وأغرِمْ له عبْدَهُ، ولا يبِيتُ إلاَّ بِهِ فِي دَارِهِ، وعبدُكَ أو عبْدُ والدِكَ هُنَالِكَ فِي اتِّجَارٍ أو غيْرِهِ إِنْ عَمِلَ شيئًا اقطعْ لَهُ رَأْسَهُ، ولا تُفْلِتْهُ، والله يُعَرِّضهُ [٤]خيراً، فما عندك من يحجر عليكَ، ولا من يضرب يديك في الحقّ، ولا يصدك عن الحكمِ ولا ينفعُكَ في ذلك إلا السَّيْفُ، ولا تقبَلْ بَقَاءَ جسارةِ العبيدِ عليك، وإن تمَادَوْا على غوايتهم يتَجَاهَرُ عليكَ حَتَّى غيرُهُمْ، فأنا بريءٌ منكَ والتَّرَاخِي في هذا الأمر، وإِنْ

(١) المقصود به محمد الحاج الدلائي، من زاوية الدلاء.

(٢) الكرط.

(٣) مخاريط جمع مخرط، ما تخاط به أكياس الحبوب عند ملئها.

(٤) يعوضه وهو الأصح.

تغَافَلْتَ عنهم بَعْدَ هَذَا ولم تَتَحَزَّمْ لضبطِهِمْ كُلَّ الضبطِ حتى لا نسمَعَ بذكرِ هذِهِ المسألةِ بِأُذُنِي، فإنَّكَ لاَ تَأْمَنُ مِنَّا، ولا نقبل منك فيها عذراً، ولا نصبر لك فيها لا بوجهٍ ولا بحالٍ. والسلام.

في ١٢ رمضان عام ١١٠٢هـ .

## [الرسالة الثانية عشر]

ولدنا مولاي المأمون أصلحه الله، سلامٌ عليكم ورحمةُ الله وبركاته.

وبعد:

فَبِنَفْسِ ما يصلك حاملُهُ الحاج الوارِدُ بخبَرِ موت أخينَا مولاي الحران رحمه الله بمكةَ شرفها الله، وَجّهْهُ لأولادِ أخينا مولاي مهدي ومولاي عبد المالك أصلحَهُمُ اللَّهُ، يشرَحُ لهُمْ خبرَ موتِهِ، ويقُصُّ عليهم ما خصَّهُ اللهُ به من المَوْتَةِ الحسنةِ بالحرم الشريف، وما حضَرَ له من خيَارِ الناس والأشراف والأركاب والحجاج، لتزيحَ بعضَ التوجعِ عن قلوبهم.

وبعد يومٍ أَوْ يومَيْنِ أو ثلاثةٍ وَالحَاجُ حَامِلُهُ عندهم مقيمٌ أَبْلِغْ أنتَ إليهم وعَزِّيهِمْ في عمّكَ، وأَزِحْ من قلوبهم بعضَ الأغيار والأكدارِ، وَوَسِّعْ في أخلاقهم، وحتى أنتَ في نفسك وأولادك وأهالينَا جميعاً لاَبُدَّ وَأَنْ يُظهروا في نفوسهم بعْضَ التوجعِ لموتِ أخينا رحمه الله، وإن كنا نحن لا نجزَعُ من الموتِ، ولا نبكي على من مات، ولا يهمنا من الدهر خَطْبٌ من الخطوبِ، ولا فَقْدُ قريبٍ أو بعيدٍ، لأَنَّ ثقتَنَا بالله وتوكلنا عليه، ومن توكل على الله كفاه، والكفايةُ بالله، لكن لاَبُدَّ من إظهارِ ما حَلَّ بالأهلِ والإخوانِ وأولادِ الأخ عندكم حتى يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا يسوءهم يسوءنا، وما يغيّرُهُمْ يغيرنا، وأَنَا وهم في موتِ والدهم وغيرِهِ سواءٌ، من غير بروزِ ذلك عنكم كثيراً كثيراً، لكي تتآلَفَ الأخوةُ بينهم، وتألفُهُمْ ويألفُونَكَ، وتسكنُ نفُوسُهُمْ إليك ويودونك ويحبُّونَكَ، وتذهب عنهم الأحزانُ والأكدارُ، وتوسع في أخلاقهم، ولا يُنْفِرُونَ منك، فَامْشِ إليهم الأيَّامَ لدَارِهِمْ، ووسع لهم في أخلاقهم، وأزِلْ لهم غيارَهُمْ وما حَلَّ بهم، ولا تَغِبْ عنهم بَلْ زُرْهُمْ يوماً بعد يومٍ حتى تذهب أحزَانُهُمْ، وينصرف عنهم غيارهم من كُلِّ وجهٍ، ولاَبُدَّ والسلام.
إلحاق بنصه: وبعد انصرافِ الحَاجِّ عنَّا بهذا الكتابِ بنصفِ يومٍ بلَغَنَا ابْنُ أخينا مولاي مهدي أصلحه الله، فَرَدَدْنَا الحَاجَّ وقبضنَاهُ هنا، ومَكَّنَا البراوات من مولاي مهدي أصلحه الله، فَهَا هُوَ يصلك، وقد أَذِنَّا له وتكلمنا معَهُ يُحْصِي لنا جميع ما خَلَّفَهُ أبوهُ رحمه الله من الأهل والعيال والأجنة والمال والأثاث والخدم والعبيد، ولا يغادِرُ مسألةً إلاَّ ويعرفنا بها في دارِهِ ودَارِ إخوَتِهِ، ويرْجِعُ إلينَا في الفَوْرِ عزماً عزماً دُونَ تراخٍ ولا تَوَانٍ، فَقِفْ لَهُ فيمَا يحتاجهُ منْكَ، وعند رجوعهِ إلينا نُوَكِّلُهُ إن شاء الله على الجميعِ، ونفوضُ له

التفويضَ التَّامَ، ونعطيه ما يَخُصُّهُ من عَوْلَةِ السمن والزرع وغيرها إن شاء الله، فلا يبطأ عنَّا هنالك ولو ساعةً واحدةً، وولد محمد بن رضوان ابعثْهُ لنا يحضر مع الفقهاءِ والطلبةِ قراءَةَ سيدي البخاري، ولاَبُدَّ عزماً عزماً، وَهَا وصيفُنَا حامله معَهُ يرجِعُ ولا يفَارِقُهُ، ولاَبُدَّ. والسلام.

في ٢٤ من شعبان المبارك عام ١٠٩٩هـ .

## [الرسالة الثالثة عشر]

ولدنا مولاي المأمون أصلحك الله، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد:

فاعلمْ أَنَّ أخاكَ السعيد حكايتُهُ نعيّنُهَا لك ونسردُهَا عليكَ، لتفهمَهَا وتعرفهَا وتتحققهَا، وذلك أَنَّ أُمَّهُ كانت عند وصيفٍ لمولاي الرشيد، وهَرَبَ، فمُنِعَتْ منْهُ، وفي أثناء ذلك المنْعِ وقع البِنَاءُ بهَا مِنَّا بعد طُهْرِهَا، وفي قُرْبِ ذلك رَدَدْنَا أُمَّهُ لزوجها الأَوَّلِ الذي كانت عنده، ولم يقَعْ لها طهرٌ عندَهُ ولا شيءَ ممَّا يوجِبُ ويثبت اللِّحَاقَ له ولا النفيَ. وقبْلَ هَذَا سألنَا السيد عبد القادر الفاسي[1]، وقررنَا لَهُ حكايتَهُ، فلَمْ يُلْحِقْهُ، وسَأَلْنَا بعد ذلك السيد عبد المالك التجمُوعْتِي فَأَلْحَقَهُ، وسَأَلْنَا بعْدَهُ السيد الحسنَ اليُوسِي[2] فلم يُلْحِقْهُ، والآنَ بوصولِهِ إليكَ اجمَعْهُ عندَكَ، واجمَعْ معَهُ السيد عبد المالك التجموعتي، وقرِّرْ لَهُ الحكايةَ، وعرِّفْهُ بذلك بسياسةٍ وعقلٍ وتحقُّقِ مسألةٍ، وعَرِّفْهُ بصحَّةِ ذلك، وانظُرْ لَهُ أينَ تسكنه في موضعٍ، وَعَيِّنْ له نحْوَ الثلاثمائة نخلةٍ يعيشُ فيهَا، واقطعْهَا لَهُ وَرَضِّيهِ بها، وسَكِّنْ معه أُمُّهُ في المَوْضِعِ الذي تعينُهُ لَهُ، وَقِفْ في هذِهِ المسألة حتى تفهمهَا وتتبينهَا أنتَ، وتعمَلُ ما يَلِيقُ في ذلكَ ويصلحُ إن شاء الله. والسلام.

في ٢٧ من جمادى الأولى سنة ١٠٩٩هـ.

---

(١) هو عبد القادر بن علي الفاسي، من العلماء الكبار الذين عاصروا السلطان، المتوفى سنة ١١٨١هـ، تاريخ الضعيف ١٦٨/١.

(٢) هو الحسن بن مسعود اليوسي، من العلماء الكبار الذين عاصروا السلطان، وعو صاحب الرسائل المشهورة إليه، المتوفى سنة ١١٠٢ه، الضعيف ١٨٢/١.

# [الرسالة الرابعة عشر]

ولدنا المأمون أصلحك الله ووفقك وأعانك، سلامٌ عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد:

فقد وجهْنَا إليك ولدنا مولاي محمد أصلحه اللهُ وثبَّتَ غرسه، وأعطيتك في زيارتِهِ سرجاً مليحةً من الذَّهَبِ عياديةً، وفيها ركابٌ من الذخائرِ النفيسةِ، والحوائجِ المثَمَّنَةِ التي لا تُوجَدُ إلاَّ في خزائنِ الملُوكِ، فالركابُ من النقرة[١]، وتطبيقُهُ من الذَّهَبِ، عليه ما يزيدُ على الأربعَةِ مثقالٍ من خالصِ الذَّهَبِ، ومسَامِيرُ التطبيق من الذَّهَبِ، والركابُ بنفسِهِ منْ خالصِ الفِضَّةِ، وفيهِ صناعةٌ كبيرةٌ تروقُ النَّاظِر ويستملِحُهَا الخاطرُ، فلا تكاد تُوجَدُ تلكَ الصناعةُ إلاَّ فِيهِ، وما وجهنَاُه لك في زيارة ابنِنَا مولاي محمد أصلحه الله وثبَّتَ غرسَهُ إلا لتتعرَّفَ من ذلك معزَّتَكَ عندَنَا، واختصَاصَكَ لدينَا، ولأَنَّنَا نحبُّكَ ونؤثرك لِبِرِّكَ بِنَا، ولِمَا توسَّمْنَا فيك من الفائدةِ، فالله يجعلها عليك مباركة سعيدة، فاحفظها ولا تفرط فيها، فإنها ذخيرة من الذخائر الكبار.

والذي أوصيك عليه هُوَ أَنْ تَتَهَلاَّ، في مولاي محمد أصلحه الله، اتْهَلاَّ فيه وَرَبِّهِ تربيةً مليحةً، وَفَشِّشْهُ وَخَنِّثْهُ، ولا تقهَرهُ كمولاي محرز، فَرَبِّ ولدَنَا تربيَّةً مُفَشَّشَةً[٢]، والله يصلحه ويثبتُ غَرْسَهُ.

واعلَمْ أنَاَّ وجهنا وُصَفَائِنَا أصحابِ وصيفِنَا ناصر بن النجاعي، ووصيفِنَا الكراوي معهُمَا لخديمنا موسى المنوكي يتوجَّهُونَ معَهُ لمعاذِرِ المَشْمَسِ، أقا، وتسنت، وصط، ويخَيِّمُونَ عليهم حَتَّى يُأَدُّوا حقَّ بيتِ المالِ الذي عليهم هذه سنوات، ويقْضُونَ إِنْ شاءَ الله أغراضاً في تلك البلادِ، فإنها جاءَتْ بالزرعِ هذه السَّنَة، وَصَابَاتُهَا بِالسِّنِينَ، فلاَ نجِدُ لهَا أحسَنَ من هَذِهِ السَّنَةَ، ومنهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ يجْتَازُونَ للفَائِجَةِ. فإذا وصلتك هذه المحلَّةُ في حفظ اللهِ وأمانهِ فَاتْهَلاَّ[٣] فيها، وإذا خصَّهَا شيءٌ من الزَّمْلِ فاعطِهَا نَحْوَ الخمسينَ بعيراً تحمِلُ عليْهَا رباطاتهَا وجلالتها وعمائرها، وَوَجِّهْهَا في

---

(١) أي الفضة.

(٢) أي مدلعة.

(٣) بمعنى اعتني بها.

حفظ الله وأمانته، ويَصِلُكَ صحبَةَ وصيفِنَا مولود المشاوري وصيفٌ اسْمُهُ موسى الكناوي، وكان من عبِيدِ محرزٍ، ولما قبضنَاهُ عندَنَا بقيَتْ امرأَتُهُ وامرأَةُ وصيفٍ آخرٍ واسْمُهُ مرزوك الدكالي عِنْدَ محرزٍ، فاعطيهِ فِيهِمَا زُوجْ[1] خدم فِي الخَادِمِ، سواء كانوا له أو لابْنَةِ أخينَا مولاي الرشيد رحمه الله، فأعطِيهِ أربع خدم، زوج في الواحدةِ.

ووجه لنا هذا الوَصِيفَ موسى بامْرَأَتِهِ وأولاَدِهِ، وزوجة مرزوك الدكالي وأولاده، ولابد يأتوننا مع وصيفنا مولود المشاوري، وَشُدَّ رُوحَكَ في أَشْغَالِكَ، وَكُنْ ضابطاً لكل ما هنالك، واللَّهُ يُيَسِّرْ عليك ويعينك بمنه آمين، وتصلك صُحْبَةَ وصيفِنَا مولود المشاوري ثلاثَ عشْرَةَ بقرةً حلُوبَةً وَفَحْلٌ، منها أَحَدَ عشرَةَ بقرةً لولدنا مولاي محمد أصلحه الله، ومنها بقرتَانِ درعٌ، واحدةٌ عجلُهَا أحمرٌ، وواحدةٌ عجلُهَا أبيَضٌ لابنةِ أخينا مولاي المهدي التي عِنْدَ وَلَدِنَا مولاي الشيخ أصلحه الله، فاعْطِيهِمَا لَهُ واقبِضْ أنتَ الإحدى عشر التي أَعْطَيْنَا لمولاي محمد أصلحه الله. والسلام.

في ٤ رجب الفرد المبارك سنة ١١٠١هـ .

---

(١) أي اثنان.

# [الرسالة الخامسة عشر]

ولدنا مولاي المأمون أصلحك الله، سلامٌ عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد:

فَاعْلَمْ أَنَّ أخاك مولاي بَنْصَرْ[1] جَاءَ بحَرَمِ مولاي إدريس جعلَنَا اللَّهُ في حماه، فأرسلْنَا إليهِ حتى كان واقفاً بيْنَ أيدينَا، وأخذْنَا نوبخُهُ لعصيَانِهِ لك محتجين عليه بما سطَّرْتَهُ لنا في كتابكَ، لأنك لا تخاطِبْنَا إلا بالصدقِ. وفي أثرِهِ دخلَ علينَا أخُوكَ شقيقُكَ المهدي[2]، فقرأنَا عليْهِمَا كتَابَكَ، فَزَعَمَا أن الذي رميْتَ بهِ أخاكَ بَنْصَرْ أنتَ هُوَ المشتغلُ به، ونحْنُ لم نصدقهما فيمَا نَسَبَاهُ إليكَ، ولمْ نقْبَلْ كلامهُمَا في جانبِكَ لجميلِ ظننا فيك، وتنزِيهِنَا إياك من كل شبهة، فَإِلَى الآنَ ساعة ما تقْرَأْ كتَابَنَا هَذَا، توكَّلْ على اللهِ وَارْكَبْ حصانَكَ مصحوباً بالسلامة والعافية وتعالى في حالِكَ لِتُقَابِلَهُمَا في وُجُوهِهِمَا ونسمَعُ إن شاء الله كلاَمَكُمْ جميعا، لأني ثَقَّفْتُهُمَا وقبضتُهُمَا إلى أَنْ تقدِمَ بالسلامةِ، تُدَافِعُ عن روحكَ. ولا أَحْكُمُ فيكم جميعا إلا بالشريعة المحمدية، وبما حَكَمَ به سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ولده مِنَ الجَلْدِ ثمَانِينَ، وأنتَ إِئْتِ معَكَ بمَنْ يشهَدُ لَكَ ونقبَلُ شهَادَتَهُ في بَرَاءَتِكَ ممَّا لَمِزَاكَ بِهِ وَرَدَّاهُ عليْكَ، فإذا تكلمتَ مَعَ أَخَوَيْكَ أَمَامَنَا وغلبتَهُمَا بِالحُجَّةِ الصحيحةِ، والشهادةِ الصريحةِ، حَكَمْنَا بمحضرِكَ وأصلحْنَاكَ معَهُمَا، ونمَكِّنْهُمَا لكَ في يَدِكَ ترجعونَ لمكَانِكُمْ جميعاً إن شاء الله، ونعطيكَ من غنيمةِ العرائِشِ ما يكتُبُ اللهُ لَكَ منها، ممَّا يَلِيقُ بك وتشمَلُكَ برَكَتُهُ، وإيَّاكَ ثُمَّ إياك أن تَتَرَاخَى في القُدُومِ بالعزْمِ لنفصلَ بينكُمْ بالحَقِّ، فإنك إِنْ تَأَخَّرْتَ عن القدومِ وأبطَأْتَ عنِ المجيءِ عزماً يَصِحُّ فيكَ ما نَفَيْنَاهُ عنْكَ، وتخافُ على نفسِكَ، وبالأَمْسِ جِئْتَنَا لمراكِشٍ في قصاصِ طَرْشَةٍ[3] ادَّعَى عليْكَ بها ابْنُ عمّكَ، فأحرى في معصيةٍ من معاصي اللَّهِ تُنْفِيهَا عَنْ رُوحِكَ، وَتُبَرِّأُ نفسَكَ منها، فَاقْدِمْ بالسلامة من غيْرِ تَرَاخِي ولا مُهْلَةٍ، فإنّي لا أطلقُ أَخَوَيْكَ إلاَّ في يَدِكَ، ولابد. والسلام.

في ٤ صفر سنة ١١٠١هـ .

---

(١) ابن السالطان من أمه الحيانية زهر الأكم ص ٣٣.

(٢) ابن السلطان من امه سرور، نفسه ص٣٨.

(٣) بمعنى صفعة

# [الرسالة السادسة عشر]

ولدنا المأمون أصلحك الله وحفظك، وإلى طريق الهداية وَفَّقَكَ وأرشدكَ، سلامٌ عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن خيرٍ كاملٍ، وفضلٍ من الله عميمٍ شاملٍ.

وبعد:

فقد تَشَكَّى لَنَا بِكَ محرز على شَأْنِ أصحَابِهِ، وقال بأَنَّكَ أخذْتَهُمْ لَهُ وحُزْتَهُمْ إليكَ، وَأَوَّلُ مَنْ ذَكَرَ منهم ولد مُومَنْ أورَاغْ، ومن أشياخِ تافيلالت وكُبَرَائِهَا، فيتكَلَّمُ في أهلِ السفَالاَتِ[1] كُلِّهِمْ. وإِنْ كَانَ كُلُّ مَنْ خالطَ محرزٍ واستخْدَمَهُ ليْسَ فيهِ خيْرٌ ولا مصلحةٌ ولا منفعةٌ، فلا يمْكِنُكَ طَرْدَ هؤلاءِ ولا مُبَاعَدَتِهِمْ وإهمَالِهِمْ كأنهُمْ جَاءَتْ بهم الطرقةُ لمعرِفَتِكَ ولخدمتكَ وأنتَ أَوْلَى بهم مِنْ محرزٍ، فيحولونَ بينَكَ وبيْنَ إخوَانِهِمْ وجمَاعَتِهِمْ، غَيْرَ أنك خَدِّمِ الكِلاَبَ خِدْمَةَ البَرَاهِيشِ[2]، ولا يَتَلاَهَوْا عليك مثلَمَا تَلاَهَوْا على محرزٍ، الذي كانَ خافضاً لهم العنَانَ على المساكينِ يعملُونَ فيهِمْ ما أَرَادُوا، عشَرَةً يأكلونَهَا، وواحدةً يُبَلِّغُونَهَا إليهِ، ويَذُمُّونَ عليْهِ كُلِّ شيءٍ وهو لا يشْعُرُ بهمْ، ولا يعرِفُ ما هُمْ يعمَلُونَهُ. فَعَرِّفِ الكَلْبَ مَوَاضِعَهُمْ، ورَاقِبْ أحوَالَهُمْ، واخْتَبِرْ جريتهُمْ وسيرَتَهُمْ، إلى أن تكونَ عندك مسائِلُهُمْ كُلُّهَا نصْبَ عينَيْكَ، بحيْثُ إِنْ أُكِلَتْ في تافيلالت ولو تمرَةٌ بغيْرِ إِذْنِكَ لا يَبِيتُ خَبَرُهَا إِلَّا عِنْدكَ، وتَعْرِفُ مَنْ أكلَهَا وتعَاقِبُهُ عليْهَا، ولاَ تَقُلْ له عَثَرْتُ في شَأْنِهَا حَتَّى ما يعود أَحَدٌ يتصرَّفُ وَلَوْ فِي شربةِ ماءٍ بغيرِ أمرِكَ، ولاَ تُجَسِّرْ عليكَ الكِلاَبَ، ويهْزَؤُونَ بكَ مثْلَ استِهْزَائِهِمْ بمحرزٍ واستخْفَافِهِمْ بِهِ.

وإيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ والمَيْلُ لمخالطةِ الشرفَاءِ والجمُوعِ معهُمْ، وخصوصاً ذَوِي الأحداثِ منهم، فلا تُجَسِّرْ[3] عليْكَ ابْنَ أخٍ ولا ابْنَ أُخْتٍ، وكُلُّ من يأتيكَ منهُمْ بلا حاجةٍ قُلْ لَهُ: سِرْ لِشُغْلِكَ ولخدمةِ جَنَانِكَ ونَخِيلِكَ، فأنَا مقبوضٌ في خدمة الحقِّ، ولستُ جالساً هُنَا بصدَدِ جماعتِكَ وجمَاعَةِ غيْرِكَ، فاخدمُوا شغلَكُمْ الذي أقامكُمْ اللهُ فيه، وأَنَا أخدُمُ شغلِي الذي أقامني الله فيه، ومن جاء منكم شاكياً بمظلمةٍ، أو رَفَعَ إلي دعْوَاهُ في مسألةٍ فلْيُبَيِّنْ لي خبَرَهَا، وأنا أحكُمُ لَهُ أو عليْهِ بالحقِّ إن شاءَ اللهُ.

---

(١) السفالات.

(٢) الأطفال الصغار بالعامية.

(٣) تجسر من الجسارة أي الجرأة.

وغير هذا فلا تُسْمِعْهُ لهم، ولا تُجَسِّرْهُمْ به، ولا تخالطهم إلاَّ بالذي يَدْعُو لك دعوةً صالحة، فأجلِسْ كلَّ واحدٍ عِنْدَ حَدِّهِ، وأَبْقِ على هَيْبَتِكَ أَحْسَنَ لَكَ، وكل من تراهُ منهم اشتغل بما لا يعنيه، أو تحرَّكَ ولو في فرَاشِهِ تحركاً لا يُعْجِبُكَ، فاحذَرْ فيهِ وازْجُرْهُ وتَوَعَّدْهُ، وحظهُمْ عَلَى أنفسِهِمْ وعلى حضَاءِ مُرُوءَتِهِمْ، إلى أَنْ تَسِيدَ عليهِمْ كلهُمْ إِنْ شَاءَ الله، وتربحَ جميلَهُمْ وأَجْرَهُمْ. وما زالُوا ينفعُونَكَ وتنْفَعُهُمْ، ويحمدُونَكَ وتحمَدُهُمْ، ويستفِيدُونَكَ وتسْتَفِيدُهُمْ، حتى يستلذُوا الحُكْمَ ويحمدون عاقبتَهُمْ، فحينئذٍ يحمدُونَكَ ويحِبُّونَكَ ويدعونَ لك بخيرٍ، وأما اليوم الذين هُمْ فَوْضَى كُلُّ واحدٍ يعمَلُ ما أَرَادَ، ويقُولُ مَا أَحَبَّ، وكلُّ واحدٍ منيفاً عَنِ الآخَرِ فما زالُوا مَا عَرَفُوا للحُكْمِ حَقّاً، ولا سلَكُوا للحقيقَةِ طريقا. وما نبهْنَاكَ عليهم وحذرْنَاكَ مِنْ مخالطَتِهِمْ إلاَّ أنَّا خِفْنَاكَ أنْ يُحْرِجُوكَ على قَدْرِ أغرَاضِهِمْ وشهوَاتِهِمْ، يعملُونَ بِكَ ما أرَادُوا، وإِنْ صحَّتْ لَكَ معَرَّةٌ فِي جُرَّتِهِمْ يُحِبُّونَهَا لَكَ، ويَتَفَرَّجُونَ فيكَ، ويستَخِفُّونَ بِكَ، وَيَتَلاَهَوْا عليْكَ مثْلَ مَا تَلاَهَوْا عَلَى محرزٍ إِلَى أَنْ زَبْلَحُوهُ وأَصَابَهُ ما أَصَابَهُ مِنْ تَغْيِيرِ خَوَاطِرِنَا.

ومثلُ مَا وقَعَ لمولاي عبد الله بن هاشم مع أولاد مولاي محمد رحمه الله حَيْثُ رأَوْهُ تَشَوَّفُوا إليهِ أهلُ تافيلالت، وصاروا ينصتونَ إليه في ذلك الوقتِ، وأعجبته رُوحُهُ، فخافُوهُ يفسد عليهِمْ عملَهُمْ ويشارِكْهُمْ وقتئذٍ في أمرِ بلادهم، فوجهوا له أبو حامدٍ تحَايَلَ عليهِ إلى أن سقاهُ الخمرَ وَشَطَّحَهُ، فلما جَاءَ أهلُ تافيلالت ووجدوا مولاي عبد الله بن هاشم يَشْطَحُ مَعَ أبي حامد قَالُوا: هذا مولاي عبد الله الَّذِي نَحْنُ نَرْتَجِي مِنْهُ كَذَا وَكَذَا، فاستَخَفُّوا مسأَلَتَهُ، وحقَرُوا كُلُّهُمْ حجَّتَهُ، وصاروا يتفرَّجُونَ فيه، والحديثُ قيَاسٌ، فَارع بَالَكَ مِنْ تلك المعرَّةِ وأمثالِهَا، وسبَبُ كُلِّ شيءٍ هو مخالطةُ الشرفاءِ، فجَنِّبْهُمْ لتبقى معهم في الوَقْرِ أَحْسَنَ لَكَ وَلَهُمْ، وسواء مولاي عبد الواحد بن محرز أو مولاي عبد الرحمان بن هاشم وغيرهم، ويكونونَ عندك كلُّهُمْ بمثابةِ الشرفاءِ كلهم، فلا تُسْقِطْ خَاطِرَكَ على متاعِ أحدٍ، ولا تأكل طعامَ أحدٍ أصلاً، ولا تثق في ذلك بأحدٍ، واللَّهَ اللَّهَ في إحياء يَبْتَةِ الشرفاءِ إِنْ أرَدْتَ رضَاءَنَا، فشُدَّ رُوحَكَ في إحياءِ مُرُوءَتِهِمْ، وفي السيادَةِ عَلَيْهِمْ، حتى تكونَ في وسطِهِمْ كأخينا مولاي محمد رحمه الله، الذي كانوا يغضبون كلُّهُمْ لغضَبِهِ، ويرضون كلُّهُمْ لِرِضَاهُ، ولا يقدر أَحَدٌ منهم يتكلَّمُ في جانِبِهِ، وتُوُفِيَ في دارِهِ مع عيالِهِ. وتَاللَّهِ إن لم تقتفي بذلكَ الأثرِ لاَ قَبِلْتُكَ أبداً إن شاء الله، وَهَا أنتَ رأيتَ محرزاً أَيْنَ أَدَّتْهُ قلَّةُ حزْمِهِ وعدَمُ ضبْطِهِ، والمُومِنُ من اتَّعَظَ بغيرِهِ، فحَرِّضِ الشرفَاءَ على

حضَاءِ مروءتِهِمْ، واشتغالِهِمْ بأسبَابِهِمْ، وبقراءَةِ أولاَدِهِمْ، وتعمِيرِ مسَاجِدِهِمْ، واللَّهَ اللَّهَ فِي خديمِنَا دحمان غرنيط، اتْهَلاَّ فِيهِ، لأَنَّا جعلنَاهُ على جميعِ أملاَكِنَا التي اشترَيْنَاهَا، فهُوَ الذي يَجْرِي عليهَا والمتولي أمْرَهَا وخدمتها وحَضَائِهَا، فشُدَّ ظَهْرَهُ، واحتزِمْ معَهُ، وكُلُّ ما يَتَوَقَّفُ له عندكَ من مصالحِ أملاكنَا نَفِّذْهُ له في حِينِهِ وَهُوَ واقفٌ، وَاللَّهَ اللَّهَ في العمارةِ والعَدْلِ، اللَّهَ اللَّهَ في العمارةِ والعدلِ، واللَّهُ يُصْلِحْكَ بمَنِّهِ، وَإِنْ وَقَفَ لك خديمُنَا عبد الرحمان غرنيط فيما يُصْلِحُ به خدمةَ أملاكِنَا وأصُولِنَا فَأَعِنْهُ بِتْوِيزَةٍ وشبهها بالعقلِ والسياسةِ، ونَادِي أهلَ البلاد وكُلُّ قصرٍ استنجِدْهُمْ في خدمةِ المُلْكِ الذي يَلِيهِمْ بالعقلِ، وإِيَّاكَ والضرر بأهل تافيلالت، فلا تُكَلِّفْهُمْ ببيتٍ ولا بمؤونةٍ ولا بعلفٍ ولا بغير ذلك، وإِيَّاك والسقاطةُ[1] التي تضُرُّ بمروءتكَ مثل ما أضرَّتْ بمن قبلك، واللَّهَ اللَّهَ في العدلِ، اللَّهَ اللَّهَ في العدلِ، وشُدَّ روحَكَ مع خديمنا عبد الرحمان غرنيط، اتْهَلاَّ فِيهِ، ولا تَدَعْ من ينازعُهُ في تلك النائبَةِ بني بستري الذين أعطينَاهُمْ لَهُ يستعِينُ بهم على خدمةِ أملاكنَا ومصالِحِنَا. والسلام.

وكتب في ٢٢ من ذي القعدة سنة ١٠٩٨هـ .

---

(١) السقاطة بمعنى الطمع في الشيء القليل.

## [الرسالة السابعة عشر]

ولدنا المأمون أصلحك الله، سلامٌ عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد:

فَاعْلَمْ أَنَّهُ يصلك كتابٌ من قِبَلِنَا كتبنَاهُ لأهل ديوانِ تنبكتو على ظهْرِ براوةِ خديمنا موسى المَانُوكِي التي أخبرنا فيها عن وُرُودِ هديتهم، وأعلمنا فيها بوصولها بلادَ درعة، فنأمرك مؤكداً علَيْكَ أَنْ تختارَ من أصحابك مَنْ تَثِقُ به يُوَصِلُهَا إلى خديمنا موسى المانوكي، وَيَقِف معه حتَّى ينظرَ لها موسى المانوكي من يتَوَجَّهُ بها لأهل تنبكتو، ويأتي بجوَابِهَا، وبما أشرنا عليهم به فيها، لأن موسى المانوكي هوصاحبُ تلك البلاد التي هي بابُ السودان.

فاكتُبْ أنتَ كتابك لموسى المانوكي، وحرِّضْهُ على الإعتناءِ ببعثِ كتابنَا وعلى حرص جوَابِهِ، وإن لم يعْتَنِي به كما ينْبَغِي يجْبِدُ[1] معنا ما لا يَقْدِرُ عليه، فأكِّدْ عليه ذلك وَشُدَّ روحكَ فيهِ، وَلاَبُدَّ.

واعلم أَنَّا وَجَّهْنَا لك صحبة خديمنا السيد الجزولي[2] الكاتب خديمنا محمد بن عبد الرحمان العريبي، وأمرناك تعطِيهِ مائةَ ناقةٍ، وتشهدها عليه في ذمتِهِ بِسِتَّةِ مثاقيل ذهبٍ للناقة، وتحسِبُهَا فِي ذلكَ الأَلْفِ مثقالٍ الَّذِي أخذْتَهُ ودفعته في ثمنِ جنَانِ الرسياني، وأنتَ انظُرْ في جماعة الشيخ محمد بن عبد الرحمان العريبي جملةً من إخوانه وأهلِ قبيلته تَجْعَل تلكَ الإِبِلَ في ذمَّتِهِمْ، وتشهد عليهِمْ لبيتِ المال، والإشهَادُ لأن الشيخ محمد بن عبد الرحمان كما علِمْتَ قَدْ عَمَّرَ وَكَبُرَ سِنُّهُ، فالإشهادُ على غيْرِهِ أَوْلَى. وَهَا نحنُ أمَرْنَا السيد الجزولي فيقيمُ عندك إلى أَنْ يأتيَ جوابُ خديمنا موسى المانوكي ببعثِهِ لبراوةِ أهل تنبكتو، ويحضر لمسألةِ هذِهِ الإِبِلِ والإشهَادِ عليها، ويقِفُ لها حَتَّى يمكِّنَهَا لهُمْ، ويأتينا بعقدِ الإشهَادِ على ذلك، وأنت اعْطِيهِمْ إبلاً مليحةً لاتخسرهم في القيمَةِ، واستوص خيراً بخديمنا المذكور حتى تُوَجِّهَهُ مقضي هذه الأغراضِ، ولاَبُدَّ. والسلام.

في ١٦ من شعبان المبارك سنة ١١٠١هـ.

---

(١) ليجهد.

(٢) من كتاب السلطان، زهر الأكم ص١٤٩.

## [الرسالة الثامنة عشر]

ولدنا الأعز مولاي المأمون أصلحه الله، سلامٌ عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد:

فاعلم أن خدَّامَنَا أهلَ الغُرْفَةِ وَفَدُوا على مقامنا العلي بالله، وشكروك وأثنوا لنا عليك من الخيرِ الكثيرِ، بارك اللهُ فيك، بارك الله فيك، وَهَا نحنُ رَدَدْنَاهُمْ إليك في حفظٍ وكلاءةٍ على أن تَقِفَ معهم حتى يعينوا نوبتَيْنِ للشرفاءِ، وأهل مانوكة فقد أكدنا عليهم بذلك وألزمناهم به حتى قبلوه، ولكِنْ بشرطِ أن يرْفدُوا ساقية نوْبَتَيْهَا من الهريهرة البرانية حَتَّى تكونَ ساقيتهم وحدهَا، فَقِفْ لهم في ذلك إِلَى أن يعمَلُوهُ.

ولاَبُدَّ والتأكيد عليك أشد التأكيد أن تستوصي خيراً بأهلِ الغرفةِ، بحيث لا يخدم لهم أَحَدٌ أصولنا التي في بلادهم إِلاَّ أهلُ الغرفةِ، ولا تدع من يزاحمهم في خدمةِ أصولِنَا ولا من يشاركهم فيها، وكذلك أَسْقِطْ عنهم كُلَّ كلفةٍ من السَّخَارِي وَالتَّوَايِزِ وغير ذلك في غير بلادهم، فلا يخدموا إِلاَّ في بلاَدِهِمْ فَقَطْ، ولا تُلْهِهِمْ بشغلٍ آخر كيفَمَا كَانَ، فشُدَّ روحَكَ فيهم، شُدَّ روحَكَ فيهم، والخيْرُ الذي تعمله فينَا اعمله في أهلِ الغُرْفَةِ، والله يصلحك ويرضي عنك والسلام.

إلحَاقٌ: وثم التأكيدُ عليْكَ أنت تقف لهم أنت بنفسِكَ يوماً أو يومين أو ثلاثة أيام، أَوْ مَا كَفَاهُمْ منك حتى يعرِفَ كل واحدٍ شغلَهُ وخدمته، وحتى يدفنوا كل مصرفٍ ما عَدَا مصرف النوبتين المذكورتين، ولا تغفلْ عنهم حتى تُسَرِّحَ للناس شغلَهُمْ، والله يرضي عنك والسلام إلحاقٌ آخر: وَقِفْ لأهلِ بلادك وُقُوفَ الرجالِ، وأَعِنْهم إذا احتاجوا أو أرادوا الإعانةَ، لأَنَّ تلك الساقية تنفَعُ الشرفاءَ، وتنفع مانوكةَ، وتنفع الناسَ عامةً وخاصةً. فلابأس أن تعينَهُمْ على إخراجهَا، وشُدَّ روحَكَ في أهل الغرفة كما قلنا لك، اللَّهَ اللَّهَ فيهم، ثم اللَّهَ فيهم، وهَلْ مثْلُ تلكَ القبيلةِ يغفلُ النَّاسُ عنْهَا، أو يفرِّطُونَ فيهَا، واللَّهِ ما عندنَا أعز ولا أحب في أهل بلادِنَا من أهلِ الغرفةِ، فواللَّهِ حَتَّى نذْكُرَ فيهم عهْدَ مولانا الشريف الأول، ونكافيهم على خيْرِهِمْ السَّابِقِ فينَا، فاعرِفْ هذا وَعَامِلْهُمْ بِهِ، ولاَبُدَّ ولاَبُدَّ، وهذه شهران وَهُمْ عنْدَنَا، وها نحن رغبْنَاهُمْ في هاتين النوبتَيْنِ ما دُمْنَا في الحياةِ، ومن بَدَّلَ أَوْ غَيَّرَ فاللَّهُ حسيبُهُ والوكيلُ عليه.

في ١٦ شوال عام ١١٠٢هـ.

## [الرسالة التاسعة عشر]

ولدنا الأرضى مولاي المأمون أصلحه الله، سلامٌ عليك ورحمة الله وبركاته، لا زائِدَ بحمدِ اللَّهِ إلا الخير والعافية.

أما بعد:

فتلك الهديةُ والعادةُ التي كانت تصل من الله تعالى للشرفاءِ على يدِ أبيكَ، في كُلِّ سنةٍ هديةً، وَصَلَتْ، نؤكد عليك أشدَّ التأكيدِ أَنْ تَقِفَ وُقُوفَ الجِدِّ والإعتنَاءِ أنت وخديمنا دحمان غرنيط، وادفعُوهَا لَهُمْ كَما نُحِبُّ، ولا تقطعْ عن أحدٍ من الشرفاءِ ولا الشريفاتِ عادةً تعوَّدَهَا، واعط لكل ذي حقٍّ حقَّهُ، واضبطْ ضبطاً مليحاً، وخديمنا دحمان غرنيط عنده زمَامُ ذلك وديوانُهُ، لأنه مَارَسَهُ وعَرَفَهُ، ودفع المالَ على يَدِهِ للشرفاءِ والشريفاتِ كَمْ مِنْ سنةٍ، فتعاونوا على ذلك واضبطوه كلِّياً حتى لا يضيعَ لأحدٍ حَقٌّ تَعَوَّدَهُ وأَلِفَهُ مِنَّا.

وأما إخوانُك المتزوجون وأخواتُكَ المستحقين فلا بأسَ عليك أن تحاولَ عليهم بزيادةٍ تجبر قلوبهم بها، ويستعينون بذلك على قضاء أغراضهم ومآربهم وضروریاتهم، غير أَنَّ الشرفاءَ والشريفات لا تنقصْ لأحدٍ منهم قليلاً ولا كثيراً من عادته، فإنَّا لا نقبل ذلك ولا نرضَاهُ منكم، وَهَا نحن بعثنا لك من هنا مع خديمنا دحمان غرنيط قنطاراً من المالِ، فاجمعه إلى تلك التسعمائة مثقالٍ التي بقيت عندك من المالِ الذي دفعه لك عبد العزيز بوطاهر، وادفع لكلِّ واحدٍ من الشرفاءِ والشريفات متَاعَهُ وعَادَتَهُ.

وإذا لَمْ يُوَفِّ لك ذلك المالُ الغرَضَ الذي هو عندنا كالواجبِ المفترَضِ، فَسَلِّفْ عليْنَا ما تستكمل به حِسْبَتَكَ في مسألة الشرفاءِ، ويأتينا دحمان غرنيط بِزمَامِ ذلك ونهايتِهِ، وزده لك إن شاءَ اللَّهُ قريباً كَمَا استسلفْتَهُ، ولا نَغْفُل عنْكَ ولا نَتْرُكَكَ تَتْعَب ولا تَتَمَرَّتُ[1]، بِحَمْلِ الدِّينِ، وما زِلْنَا إن شاء الله نُعْطِيكَ قبيلةً كبيرةً معتبرةً تتَوَسَّعُ فيها، وتستعينُ بها على مروءتك وشغْلِكَ وعملك، وَتَجِدُ في يدِكَ ما يعينُكَ على مصالِحِكَ ومصَالِحِ إخوانك وبناتِ أبيكَ، لأَنَّكَ رجلٌ ذُو شفقَةٍ وحنانةٍ على إخوانك وأخواتك، بَلْ وَعَلَى سائرِ الشرفاءِ والشريفاتِ، نعرف ذلك فيك ونتحققه منك، وسبَبُ ذلك أنك كنت عزيزاً علينا، وملحوضاً بعين الرضا لدينا، فلا نتركك تَتَمَرَّتُ ولا تحتاجُ ولا تَتَحَمَّلُ ثِقْلَ

---

(١) بمعنى لا تتعب كثيرا.

دِينٍ أبداً، فكلُّمَا تستَسْلِفُهُ مما يكمل لَكَ عادَةَ الشرفاءِ زِدْهُ لكَ بالفورِ إن شاءَ اللهُ. فاجتهد في ذلك واضبطه، والله يعينك ويرضي عنك، ومسألةُ ذلك النخيلِ الذي كنا اشتريناه في مزكيدة لأولادِ ولد أخينا مولاي أحمد بن محرز، وعاملنَاهُمْ بشرَائِهِ لوجهِ اللهِ تعالى، إذا هم أحبُّوا متَاعَهُمْ فاللهُ يُهَنِّيهِمْ، فلا نحبُّ لأولادِ ابْنِ أخينا إلا ما نحبه لأنفسنا وأولادنا، وإذا أحبُّوا أن تُعَوِّضَهُ لهُمْ فاشترِ النخيلَ وَعَوِّضْهُ لهم بمحضرِ أعيانِ الشرفاءِ وكبارِهِمْ، وأمَّا اشتراؤُهُ منهُمْ بالدراهم فلا تُسَاعِدْهُمْ على ذلك، ولا تشتَرِيهِ منهم بالدراهم أصلاً، فتلكَ المعاملةُ التي عاملنَاهُمْ بهَا لوجهِ اللهِ نُحِبُّ أن يبقى أجرَهَا وثوَابَهَا متصلاً للأَبَدِ إن شاء الله. ومسألةُ نَزَائِلِ العربِ الَّذِي جَمَعْتَ عليكَ لا حاجةَ لكَ بهم ولا بجميلِهِمْ ولا بكثرةِ كلاَمِهِمْ، فلا فائدةَ ولا نتيجةَ، يظلون كُلَّ ساعة يتجمَّلُونَ عليك، ويقولون: هَا نَحْنُ مخازنية[1]، هَا نَحْنُ مراهين، هَاهُمْ كَذَا هَاهُمْ كَذَا، وذلك مما يتعبكَ ويشوشكَ، ويضركَ ولا ينفعكَ، فاتَّكِلْ على الله لا تَتَّكِلْ على العربِ، وَاعْمَلْ أصحَابَكَ الذين ينفعونك، وَهَا أَنْتَ عَرَفْتَ وَجَرَّبْتَ وبقيتَ منيفاً[2] عن داركَ سنَتَيْنِ أو أكثرَ، وعرفت من تنفعُكَ خدمتُهُ ممن يضرُّكَ قربُهُ وعشرَتُهُ، فالصاحبُ والخديمُ إذا كان بالمنَّةِ والجميلِ والكُرْهِ ليس هو صاحباً ولا خديماً، وإنما هو عدوٌّ مبينٌ، لا ينفع عند الحاجةِ إليهِ، ولا يتكل الرجلُ الحازمُ عليه، فاجعل اتكَالَكَ في الله، وَاعْمَلْ أصحَابَكَ الذين تستريح فيهِمْ وتنفَعُكَ خدمتُهُمْ، وَشُدَّ رُوحَكَ، شُدَّ رُوحَكَ، شُدَّ رُوحَكَ، وتَدَارَكْ ما فاتكَ من الغفلةِ والتَّرَاخِي، والله يوفقك ويعينك على أمور دينك ودنياك، وَهَا نحنُ كتبْنَا براوةً لأخيك مولاي محمد بن الشريف، وأمرنَاهُ فيها بالصحبة معك والمودة لك، وعرفناه بما عرَّفْنَاهُ، الله فيه وفيك، فابعثها له واعملوا بمقتضاها، والله يوفقكما ويعينكما.

استدراكُ خيرٍ: وتلك الدراهم التي كُنَّا قُلْنَا تَسْتَلِفُهَا وَتُكَمِّلُ بها هَدِيَّةَ الشرفاءِ ولازِمَهُمْ، هَا نَحْنُ كَمَّلْنَا لَهُمْ مِنْ هُنَا، ودفعناها لغرنيطٍ، ونقَضْنَا عنْكَ كُلْفَةَ سلَفِهَا، والآنَ لاَ تُسَلِّفْ شيئاً، ولا تتكلَّفْ إلا بدفعِهَا لأربابهَا على الوَصْفِ الذي أشرنا بِهِ عليك، والله يعينك ويرضي عنك. والسلام.

في ٢٠ من محرم الحرام عام ١١٠٨هـ .

---

(١) مجندون في الجيش.

(٢) منفيا وليس منيفا.

# [الرسالة العشرون]

ولدنا المأمون أصلحه الله، سلامٌ عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد:

فاعْلَمْ أنك حيثُ توجهْتَ من عندنا ما توَجَّهْتَ إلا بقصد عمارةِ تيزيمي[١]، وحضَاءِ[٢]، أملاكها واقتصارِكَ عليها دُونَ غيرها، والآن حيث صرت تتكلَّمُ في تافيلالت وفي تلك البلادِ كُلِّهَا يجب عليك أن تقدمَ لِعَلِيّ مقامنَا لنتكلَّمَ معك في أمورِ تافيلالت، ونُرِيكَ كيْفَ تتصرف بالحقيقةِ في تلك الصحراء كلِّهَا إن شاء الله. ونتفَاوَضُ معك في حُجَّةِ سكنَاكَ، هل يكونُ بتافيلالت وَتَتْرُكُ تزيمي، فَنُرِيدُ حينئذٍ كيف يكونُ انتقالُكَ إليها بالسلامةِ، وتبقى في موضعِكَ وتتصرف منه إن لم يبعدك، وَنَتَّفِق معَكَ على ما يصلحُ بِكَ وعلى ما يكونُ لَكَ فيه خيرٌ وصلاحٌ إن شاء الله، فأوصي أَخَاكَ أصلحه الله على موضعِكَ، ونَوّبْهُ في مكَانِكَ، وحضِّضْهُ وَنَبِّهْهُ وَعَرِّفْهُ، وتعالى إلينا أنتَ في حفظِ اللَّهِ وأمانِهِ بالعزم قبل أن ينزِلَ الثلجُ في تلكَ الطريقِ.

فارْكَبْ في مائةِ فارسٍ من خيلِكَ وائْتِنَا لجهةِ الغربِ، فإنْ لقيتَنَا في بلاد تادلا أو بحوْزِ زاويةِ الدِّلاَءِ[٣] نتكَلَّمُ معك ونُنَبِّهُكَ ونوقظُكَ، ونُرِيكَ ونعرفكَ كيفَ تتصرَّفُ في البلاد، وكيف تكون مباشرتُكَ للشرفاءِ، ونفَوِّضُ لك وندعو لك بدعوةٍ صالحةٍ، ونودِّعُكَ لله وكلاءتهِ، ولعلك تتلقَانَا في الموضعِ الذي ذكرناه لك وترجع في حَالِكَ بالسلامةِ.

واعلَمْ أنَّ أولادَ عمِّكَ جاؤونا شاكينَ منْكَ على شَأْنِ أخيهِمْ عبد الواحد مِنْ كونكَ خَيَّرْتَهُ عليهم، فصارَ يتَجَاسَرُ عليهم بسبَبِكَ، ووَجَدُوا في أنفسهِمْ من ذلك، ولم يَذْكرُوا لنا عنك غير هذا، وَغَاضَتْنَا شكايتُهُمْ، ووبخنَاكَ كثيراً لأجلهِمْ، وأردنَا أَنْ نُوَجِّهَ لك من يزنككَ[٤] عليهِمْ، وحيْثُ عَلِمْنَا بسبَبِ ذلك أَنَّ أروَاحَهُمْ ضاقَتْ من قلَّةِ الطلوعِ والنُّزُولِ

---

(١) منطقة محيطة بجبل أرفود، وهي القصبة التي بناها السلطان، المعلمة ٢٦٩٠/٨، الاستقصا ٨٩/٧.

(٢) بمعنى حماية.

(٣) زاوية الدلاء.

(٤) بمعنى يشدد ويضيق.

الذي اعتَادُوهُ وأَلِفُوهُ سَكَتْنَا عليكَ لئلاَّ نروعكَ وندهشكَ وَنُجَسِّرْهُمْ عليكَ بسبَبِ ذلك، غيرَ أَنَكَ واللّهِ ما عَمِلْتَ خيراً ولا صادفت صواباً في مخالطتِكَ لعبد الواحد بن محرزٍ، فَلَوْ كُنْتَ تُحْسِنُ مخالطةَ الشرفاءِ كُلِّهِمْ وتنزلهم منازِلَهُمْ، وتعرف كلَّ واحدٍ منهم وَمَا هُوَ علَيْهِ، ولا يَتَلاَهَى عليكَ أحدٌ منهم فما عليك أَنْ تخالطَهُمْ وتباشرَهُمْ. وحيثُ قبَضْتَ عنْهُمْ يَدَكَ وضربتَ صفحاً عنْ خلطَتِهِمْ فَمِنْ حَقِّكَ أَنْ تحملهُمْ كُلَّهُمْ ولا تختصّ بعبدِ الواحد بن محرزٍ ولاَ بغيرِهِ، فتعمل في نفسِكَ خيراً، وتبقى مع إخوانك وجماعتك في الوَقَارِ، ودَعْهُمْ مِنْهُمْ لأَرْوَاحِهِمْ، والَّذِي يأتيكَ منهم يُدَوِّرُ الجماعةَ والفضولَ أَخْزِرْ فيه، وقل له: سِرْ لشُغْلِكَ، ولا تعمل فيهم فَرْزاً، إلا الذي يَأْتِيكَ شاكياً بمظلمةٍ فاحكُمْ لَهُ أَوْ عليْهِ بالحقيقةِ.

والأشرافُ الكبارُ إِنْ طلَبْتَ منهم دعوةً صالحةً تربَحُ أجرهَا، وأَمَّا مخالطَتُكَ لعبد الواحد بن محرز فواللّهِ ما لك فيها خيرٌ ولا صلاحٌ، لأنه لاَ يدُلُّكَ على خيرٍ ولا يوافقك عليه، ولا تنال بخلطتِهِ مَكْرُمَةً ولا طائلةً، وإن شَكَكْتَ في هذا فانظُرْ لفعلِهِ مع أولادِ أبيهِ وأمِّهِ، وتَاللّهِ ما أحببنَاهُ نحْنُ دونَ إخوتِهِ إلا لعمارتِهِ دار أبيهِ فَقطْ، وأَمَّا هُوَ فرجلٌ إِبْلِيسٌ، كثيرُ وَسْوَاسٍ قسنَاسٌ[1]، قَدْ أطلعَنَا اللّهُ على مسائلِهِ وعرفنا ما هُوَ عليه، فمَا هُوَ يَدُورُ لَهُ إلاَّ ليَفُوزَ عنكَ، ويَقْضِي بك حَاجَةً، وَيَتَلاَهَى عَلَيْكَ كما تَلاَهَى بمحرزٍ قبلَكَ، فيَجْتَمِعُ معَكَ ويمْشِي لأصحَابِهِ أَهْلِ سِرِّهِ فيقول لهُمْ: وَاللّهِ حَتَّى أُزَهِّقَهُ، وَأُعِيفَهُ لأَبِيهِ، حسبَمَا ذالكَ منْهُ وذَكَرَهُ لنَا إِخْوَتُهُ.

وَهُمْ صادِقُونَ في مقالتهِمْ بدليلِ ما أَرَانَا الله من مسائلِهِ، وبما تقدَّمَ لنا من الإطلاعِ على دسائسِهِ، فقد قبضنَا عليه براوةً كان كتبهَا لأخيه أحمد بن محرز، حيث كان محرزٌ بدرعةَ مع مبارك ولد حمو بن كروم، ومهدي بن الزوغي، وهُوَ يقولُ فيها لأخيه حيث سَمِعَ خبرَ محرزٍ فَرَّ مِنْ درعةٍ، ورأينا براوته بأَعْيُنِنَا ونحنُ في تلك الساعة في تاكموست، وجَاءَ محرزٌ للفَائِجَةِ، وشاهَدْنَا كتَابَهُ له بذلك، ونقَلَ لَنَا عنْهُ بُورِيمَةَ كَمْ مِنْ نقيصَةٍ وكم من دسيسةٍ، وما قال فيه إخوتُهُ إِلاَّ حقّاً، فوَجَدَكَ ضَبُعاً، وَهُوَ يَتَلاَهَى علَيْكَ،

وأَمَّا لَوْ كُنْتَ رجلاً وتعرفتهُ كمعرفتنا نحْنُ إيَّاهُ ما يحوزك هُوَ ولا غيرُهُ، وتكون جعلتَهُ مِنْ جملةِ إخوتِهِ، ولا خيريةَ عليهِمْ في شيءٍ، وحيثُ أَلقَاكَ على قَدْرِ يدِهِ فَهَا هُوَ

(١) نسناس وهو نوع من القردة صغير الحجم.

يعمَلُ فيكَ ما أرَادَ، وصارَ يمشي بك لأَخْنُوسٍ لدارِهِ يتجمِعُ معَهُ، وأراد أن يُزَبْلِحَكَ[1] مثلَمَا زَبْلَحَ مَنْ كان قبْلَكَ، وتَاللَّهِ العظيمِ إِنْ خالطْتَ أحداً من الشرفاءِ بعد اليوم أَوْ عملْتَ فَرْزاً في أولاد عمك واختصصتَ بأحدٍ منهم، ولم يكونوا عندك كلهم سواء، أو أكلْتَ طعَامَ أحدٍ حتى ترى مِنَّا مَا لاَ يُعْجِبْكَ إِنْ شاء الله. واعلَمْ أَنَّ عمَّكَ عمرَ بْنَ يوسف كلفنَاهُ بشراء الأملاكِ التي تليقُ بنَا وتَوَالِينَا، وأمرناه بمعاوضةِ ما تَلِيقُ بنا معاوضتُهُ، فهو رجلٌ مهينٌ في شغلِهِ، بطيءُ الحركةِ في عملِهِ، وتلك المسألةُ التي أردنَاهُ إليها لا ينبغي فيها التَّأَنِي، ولاَ يُحْمَدُ فيهَا إلاَّ الإنجازُ والمبادرَةُ، لأَنَّا أحببْنَا تلكَ الأملاكَ وأردناهَا للأولاَدِ والبنينِ إِنْ شاء الله، وذلك حقُّهُمْ ونصيبُهُمْ من بيتِ المالِ بين المسلمينِ، والفوز بالجنة إِنْ شاء اللهُ. فأردْنَا منْهُ أَنْ يُنْجِزَ بمفَاصَلَةِ تلكَ الأملاكِ، وبتصفيتِهَا وحيازتِهَا لنحصيهَا ونعرفَ قدرَهَا ونهايتَهَا، ونعينَ لكلِّ واحدٍ منكُمْ حقَّهُ ونصيبَهُ في حياتنَا إِنْ شاء الله، ونتأَمَّلَ جميعَ ذلك، فإن وجدنَاهُ قدْرَ حقِّكُمْ في بيتِ المالِ فتبارَكَ الله، وإن وجدنَاهُ أَقَلَّ من حقِّكُمْ فَنُوفِي لكُمْ منه نصيبَكُمْ إن شاء الله والسلام.

---

(١) بمعنى يخدعك.

## [الرسالة الحادية والعشرون]

إلى الأَبْلَهِ المُغَفَّلِ المَأمُون، بعد السلام عليك.

اعلَمْ مِنْ براوتكَ هذه التي بلغت عنّي شَأْنَ أَخْذِ اللَّهِ أولاد ادليم وَمَا فِيهَا إلاَّ كلمتَانِ وحرفَانِ، لم يبق لنا شكٌّ في كَوْنِكَ أبلَهَ مغفلاً أحمَقَ حمَاراً لاَ تفْقَهُ شيْئاً، ولا تضبطُ مسألةً أصلاً، وأَعْرَبْتَ لنَا عن كيفيَّةِ عقلِكَ وقصُورِ همتِكَ عن عدمِ إدرَاكِ ما أرادَهُ النَّاسُ فيكَ، وأُظْهِرَ للعيَانِ عنْكَ أنَّ هذا الأَمْرَ الذي نُصِبْتَ له بعيدٌ عليْكَ، ليْسَ لكَ فيهِ مَرْسَى ولا سبَاحَةَ ولا معرِفَةَ، إِذِ السابِحُ الذي يعُومُ ويسبَحُ يظْهَرُ من تعَامُلِهِ مع المَاءِ في أوَّلِ مرَّةٍ، فإِنَّهُ لا يتردَّدُ للسباحةِ والعوْمِ إلاَّ مَنْ كانَ عارفاً بِهَا، وكذلك هذا الأمرُ الذي نحنُ فيه فمثْلُكَ الذي يُصَدَّرُ بِهِ ولا تظهَرُ فيهِ نتيجَةٌ ولا مطَنَّةٌ ولا رياسةٌ، بعد أَنْ يَبْقَى فيه الأعوامَ والسنينَ، ولا يزدَادُ بهما إلاَّ غفلةً، ولا يعتَمَدُ فيهِ علَيْهِ ولا يعرف، ولا يُرْتَجَى لَهُ علاجٌ ولا صلاحٌ ولا فلاحٌ، فحَيْثُ جِئْتَ الحِمَار تكتُبُ على أوْلاَدِ ادليم بعد أَنْ بَلَغَكَ بشِيرُ العربِ الَّذِينَ غزوهُمْ مِنْ رَقَاقِيصِ[1] وَلد النَّصِيرِي تَكُونُ قد عرفْتَ كيف تتكلَّمُ معهُمْ، وكيف تتلَقَّى خبرَهُمْ، وتبحثهُمْ على كيفية ظفرِهِمْ بِهِمْ، وعلى الموضع الذي أدركُوهُمْ به، وكيف تحاربوا معهم؟ وكيف هزَّمَهُمُ الله بين أيديهِمْ؟ وكيف تمكنوا منهم؟ وكم ماتَ من أولئك البُغَاةِ؟ وبالبِلاَدِ التي كانوا نزولاً فيها وانتهت هزيمتُهُمْ وهرُوبُهُمْ إليْهَا؟ وكم هلكَ منهُمْ وأُخِذَ ونُهِبَ وقُتِلَ ومَاتَ، ومن لَمْ يُظْفَرْ بِهِ مِنْهُمْ؟

وتقولُ للنَّصِيرِي العربي الذي بَلَّغَكَ بخبرِ أولاد ادليم: إنَّ فيهم قبائلَ شَتَّى، وأفخاداً عديدةً، أولاد عرب، وأولاد مساهل، وأولاد يعلى، والشهالي وغيرهم، فَمَنِ الَّذِي وقع فيه الواقعُ والأخذُ؟ ومن حضر منهم ومَنْ لَمْ يحضُرْ منهُمْ؟ ومن هلك ومن نجا؟ وتقول: في أَيِّ وقتٍ خرجتم إليهم من الغِزْلاَنِ؟ وكم سِرْتُمْ من يومٍ إليهم حتى أدركتُمُوهُمْ؟ وكمْ من ليلةٍ وأنتُمْ مُجِدُّونَ إليهم؟ وعلى أَيِّ طريقٍ سلكتُمْ في الصحراء؟ ومن لقيَكُمْ من العربِ؟ ومن هرَبَ منْكُمْ؟ ومن أَنْذَرَ عليْكُمْ؟ ومن نصحَكُمْ ومن غشَّكُمْ؟ وما أشبهَ ذلك، إِذْ هنالكَ قبائلُ شَتَّى، سَلاَّم، وإذاوبلال، ومريبط، وأولاد إدريس، وتكنة وغيرهم.

---

(١) جمع رقاص بمعنى ساعي البريد.

فهَكَذَا كانَ من حقّكَ أن تعمَلَ الحِمَار المُغَفَّل الأَبْلَه، وأما كونُكَ توهمُ علينا بكلمةٍ في براوتكَ، إِيهْ هَلْ أُخْرِسْتَ، ولَمْ تَزِدْ عليها تعريفاً إِلاَّ أولاد اداليم أُخِذُوا، فحَتَّى الأحمَقُ يقولُ تلك الكلمةَ، فالرجلُ يظْهَرُ مِنْ براوتِهِ، والعاقِلُ يُعْرَفُ مِنْ كلاَمِهِ، ونحْنُ عندنَا هُنَا رقاقيصُ خديمِنَا عبيد بن إبراهيم العربُ المغافِرَةُ من السودانِ، ولَهُمْ هُنَا عندنَا نحو ثمانيةٍ وعشرينَ يوماً، اعطُونَا الخبَرَ عَنْ أولاد اداليم وغيرِهِمْ، وعرفُونَا حيْثُ كانوا نزولاً، وليْسَ هِيَ ضايةُ سيدي محمد، وكونهم في جوارِ المغافرَةِ عن يومينِ وثلاثة، وكونها تلك البلاد هي بلادُ أولاَدِ العربية بنفسها، وفي عِلْمِنَا أخبَارُ تلكَ القبيلةِ بلداً بلداً، ولا يحول بيننا وبين خيْرِ تلك الناحيةِ شيءٌ، ولا أغْفَلَنَا الله عن شيءٍ بفضل الله. وَأَنْتَ يَالْحِمَار كونك بالصحراءِ وقاعدتها تافيلالت، تَرِدُهَا وفودُ العرب، ويأتيها الصادرُ والواردُ من كل ناحيةٍ، وأنتَ فيها اليوم بمثابَةِ الأميرِ، ولا بينك وبين تلك الصحراء حينذاكَ سُوسٌ ولا غيرُهَا، إلا بسيطُ الأرض من تافيلالت إلى القبلَةِ، فكيف تجهَلُ أخبارَهَا، ولا تعلَمُ أحوالها كلَّهَا، ولا تعرِفُ أحداً بها ومياهَهَا ومعَاطِنَهَا بأسرِهَا، ولكنك غيْرُ عربيٍّ، ولست بحازمٍ في شيءٍ، وكما كُنْتَ عليهِ أَوَّلاً البلَهُ والغفْلَةُ باقِياً عَلَيْهِ، ولم تَزِدْ عليْهِ شيئًا ولستُ أَنَا بحمْدِ اللهِ غرياً الذي أَقْصَرْتُ ولايتَكَ على تافيلالت وجِيرَانِهَا، التي كانت تَكْفِي فِيهَا قيَادَةُ بَارَى العَبْدِ أَوْ ولد الحاج عمارة. وَلَوْ رأينَاكَ تصلُحُ لِمَا هُوَ أكثَرُ منهَا لاخترنَاكَ لَهُ، واليومَ تافيلالت كبيرةٌ عليكَ أنتَ، ولا تقدِرُ عليهَا، ولا تضبط أحوالها ولا أحوَالَنَا فيها، وما تاتيكَ عليهِ براوتنا مع خديمِنَا دحمان غرنيط عليه تَعْمَلُ، فَباللَّهِ الذي لا إله إلاَّ هُوَ إِذَا لَمْ تعمَلْ بكُلِّ مَا فِيهَا، وَخَصَّتْكَ، بمعنى نقصتك مسألةٌ من ذلك لم تعملْهَا، ولم تُشْفِ لنَا غليلاً فيهَا حَتَّى أُوقِعُ بِكَ وَأُغَبِّرُ أثَرَكَ بين الناسِ. فَمَا أَعْجَبَنَا حالُكَ بشيءٍ، وكتابُكَ هَذَا زَادَ فيكَ خبرةً، وأعرَبَ لَنَا عَنْ كونكَ عَمِّياً غائباً عنْ هذا الأمرِ، بعيداً عنه، ليسَ لك فيه عقْلٌ، ولاَ مُدَّ لك فيه بَاعٌ ولا فهمٌ ولا إدراكٌ أصلاً من كل وجهٍ، فالرجلُ العامي الأبلَهُ المغَفَّلُ لاَ يُوَلَّى خطَّةَ المخزنِ، ولا يصلُحُ لهَا إلاَّ الذي يعرِفُ الأشياءَ وتتُوقُ نفسُهُ لإدراكِ الغوامضِ من الأمور البعيدةِ، ويعرف كيف يتكلَّمُ، وكيف يكتب، ويكونُ قلَماً بطرَفَيْنِ، وديواناً ولساناً، يظل يتكلَّمُ ولا يحقر من يسأل، ويجعل زَيَّ العربِ شعارَهُ ودثَارَهُ، ويفحص عن النقيرِ والقطميرِ، ولا يُغَيِّبُ عنْكَ خبَرَ ناحيةٍ ولا سريَّةٍ، ويكونُ تيقظُهُ أغلَبَ عليْهِ من سِنَتِهِ وغفْلَتِهِ، وإذا أَتَتْهُ مسألةٌ لا

يقبلُهَا عنْ أوَّلِ ساعةٍ ويصرفها من حيثُ كَانَتْ، ولا يكون مصدقاً لأَوَّلِ قائلٍ، ولا مكذِّباً لكُلِّ مُخْبِرٍ، ويعمَلُ الحزْمَ على الجِهَتَيْنِ.

فواللَّهِ إلاَّ حضَرْتُ والدي المرحوم بفضل الله مولانا الشريف قدس الله روحه، وهو يَسْخُنُ في بيْتٍ في داره، وقد دخلتْ عليه خادمةٌ وبيدها بساطٌ فيه بعضُ الحُبَارِ، أدخلتْهُ مِنْ عنْدِ أخينا مولاي الرشيد رحمه الله، فردَّهَا لَهُ مرتين أو ثلاثة وهو يقول: قُلْ لَهُ في أَيِّ موضعٍ تجار الصيَادَة، وفي أي بلدٍ وَمَعَ مَن اصْطَادَهَا، وطيورُكَ شيّخُوا أَمْ لاَ؟ ومن شاخَ منْهُمْ؟ ومن فيهم لائقٌ بالإصطيادِ وَمَنْ لاَ؟ وكيف عملت في صِيَادَتِكَ؟ وجعل يردُّهَا إليه مرَّاتٍ عديدة على هذه المسألةِ وحدَهَا، فذلك من شأْنِ أهلِ الحزمِ، ومن طبْعِ الوُلاَةِ وذَوِي الأَقْدَارِ والمعرفةِ بأمورِ الدهر.

ولقد بلغنا أن الرشيدَ(١) أمَرَ ولدَهُ الأَمِينَ يسرّجُ له حصاناً، فانصرَفَ، ثُمَّ أَمَرَ المَأمُونَ أَخَاهُ بمثلِ ذلكَ، فرجعَ لَهُ فَقَالَ لمولاَنَا نصره الله: أَيُّ حصانٍ يُسَرَّجُ لأميرِ المؤمنينَ مِنْ خيلِهِ المباركةِ؟ فقال له: الحصانُ الفلاني، فقال له: بِأَيِّ سرجٍ من سروجِ أمير المؤمنين؟ فقال: بالسَّرْجِ الفلاني، فقال له: وَبِأَيِّ لِجَامٍ؟ فقال له: اللِّجَامُ الفلاني، ولاَ انصرَفَ عنْهُ حتَّى أعرَبَ له عن كُلِّ مسألةٍ بخلاَفِ أخيهِ الأَوَّلِ الذي وَثَبَ على جهلٍ ولا يرى ما يعمَلُ ولاَ ما يوافِقُ غرَضَهُ.

وقال مَلِكٌ لبعضِ الوزراء: اعْطِ لِهَذَا بهيمةً من بهائِمِنَا، فقالَ له: أمن النَعَمُ أَوْ مِنَ المُحَرَّمِ الأكلِ؟ فقال له: من النَعَمُ، فقال له: من البَقَرِ أو مِنَ الغنم؟ فقال له: من الغنم، فقال له: من الأَبْيَضِ أو من الأسودِ؟ فقال له: من الأسودِ، فقال له: ذكراً أو أُنْثَى؟ فقال له: ذَكَرٌ، فقال له ابْنُ حَوْلٍ أو حولينِ؟ فقال له: إبْنُ حَوْلٍ، وتعجَّبَ الملكُ من صرامةِ الوزيرِ وحزمِهِ وكثرةِ تيقظهِ، فصرَّفَهُ ودعَا له بخيرٍ.

وأنتَ وَالٍ على قاعدة المغرب سجلماسة، وهي بلادُ الصحراءِ إلى السودان والنيلِ، ولا نجِدُكَ تعرِفُ معرباً، ولاَ تَفُظُّ خبَراً، ولا تتلقى أحداً، ولا تعطي كلاماً لقريبٍ ولا لبعيدٍ، وإنما أَنْتَ أخرسٌ أَبْلَهٌ، لا تضبطُ تافيلالت ولاَ أَقَلَّ منهَا، وبراواتك(٢) كلُّهَا براواتُ عَامِّي أَجْلَفٍ غَبِيٍّ أَغْلَفٍ لاَ يفْقَهُ شيْئاً، ولاَ تزيدُ فيهِمْ على كلمةٍ أَوْ كلمتينِ،

---

(١) هارون الرشيد السلطان العباسي المشهور

(٢) بمعنى رسائلك.

وذلك من فرطِ الجهلِ وقصُورِ الفهمِ والعقلِ وعدمِ الإدراكِ، ولا عنْدِي إلاَّ أنَّكَ ذُو غبَاوَةٍ وغُلْظِ طَبْعٍ لا تصلُحُ لشيْءٍ ولا لطَبْخٍ، وأحوالُنَا بتلكَ البلادِ مفرطةٌ، كأَنِّي أشاهدُهَا وأرَاهَا بعيْنِي، ولَوْ كَانَ لكَ عقلٌ وفيكَ حزمٌ ومعك نهُوضٌ لهذَا الأمرِ الذي نحْنُ فيه لَظَهَرَ فيكَ ذلكَ في العَامِ الأَوَّلِ، أو في الذي يَلِيهِ، ولو رأيناكَ تعمَلُ عمَلَ أهلِ النجدة والفائدة والرجولية، وعمَلَ أهلِ العمارةِ والفائدةِ الذي يكونُ الرجُلُ اليَوْمَ في حالةٍ ويصبَحُ غداً في حالةٍ آخرى أفضَلَ منْهَا ما أبقَاكَ اللَّهُ بتافيلالت التي يصلُحُ لولايتِهَا عبْدٌ أَوْ أَمَةٌ، وليسَتْ هذِهِ بأَوَّلِ وصيَّةٍ أَوْصَيْتُكَ بها، ولا أَوَّلَ مخاطبةٍ خاطبناك بها وبأكثَرَ منْهَا، وحالتُكَ الأولى هي حالتُكَ الآن من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ، اللهم إنَّا قد آثرنَاكَ وعَمِلْنَا لك من الخيرِ ما عمِلَهُ اللَّهُ لَكَ، فلم تعمَلْ بمكَافَاتِهِ، ولم تُقَدِّرْ قَدْرَهُ، ولا كيْفَ تَتَلَقَّاهُ، ولا من أين تبدَأُهُ، ولا من أين تختمهُ، ولاَ مَرَّحْتَنَا عنْهُ بضبْطِ مسألةٍ، ولا عندَكَ عليهِ حجَّةٌ تحتَجُّ بهَا، ولا فائدةٌ واحدةٌ مفردةٌ تُدْلِي فيهَا وبهَا، لا ظاهرة ولا باطنة، والمخزَنُ[1] لاَ يُأْمَنُ عَطَبُهُ، ولا يَسْلَمُ مِنْ غضبِهِ ولدُهُ وصديقُه إِنْ كانَ لَكَ، ولا يصبِرُ للَّذِي يكونُ مَعَهُ على حَالتِكَ، وَإِنْ صَبَرَ له يوماً لا يَصْبِرُ له شهراً، أَوْ رُبَّمَا يحْضَى عندَ الملوكِ مِنْ أهلِ هذِهِ الخطَّةِ الدينيةِ أَعْدَى أَعَادِيهِ إِنْ كانَ معَهُ فهْمٌ وتيقظٌ ونهوضٌ لِمَا أُرِيدَ مِنْهُ، فِطْرَةُ اللهِ التي فَطَرَ النَّاسَ عليهَا، لا تبديلَ لخلق الله، ولن تجد لسنَّةِ الله تبديلاً، وهذِهِ البراواتُ كنَّا نريد أن نكاتبَكَ بهَا مِنْ قَبْلِ هذا، وأحوجتنَا إليها من كُلِّ وجهٍ، والآنَ وقفت على السَّبَبِ، وعملتَ لنَا ما اقتضَاهُ الحالُ أَنْ نُخَاطِبَكَ بِهَا، وَأَصْلُ ما حرضناك عنْهُ وقرأنَا عليكَ قَوْلَ لَقِيطِ الأَيَادِي[2] الذي كَتَبَ بِهِ إلى قبيلتِهِ إِذْ هُوَ يقُولُ:

أبلـغ إيـاداً وخلـل فـي سـراتهم ... إني أرى الرأيَ إن لـم يعص قد نصعَا
لا يطعـم النـوم إلا ريـث يبعثـه ... هَـمٌّ يكـاد سـنَاهُ يقصـم الضـلعا
مـا زال يحلـب هـذا الـدهر أشـطره ... يكـون متبعـاً طـوراً ومتبعـا
لا مترفـاً إِنْ رخـاءُ العـيْشِ سـاعده ... ولاَ إِذَا عـضّ مكـروهٍ بـه خشـعا

---

(١) كناية عن السلطة.

(٢) هو لقيط بن يعمر الأيلدي، شاعر جاهلي فحل من أهل الحيرة،، كان كاتبا في ديوان كسرى، ولما تناهى إلى سمعه خبر إيقاع كسرى بقومه أرسل لهم هذه القصيدة، الموسوعة الشعرية.

وقُلْنَا لَكَ ما كتب به الحجاج بن يوسف[١] لِعَبْدِ الملك بن مروان[٢] من خبر عبد الرحمن بن الأشعث[٣]، وجوابُهُ لَهُ هَذَا، وقال له:

يكفيكَ ما أوصى بِهِ البَكْرِيُّ أَخَاهُ زَيْداً، وَكَوْنُ الحجَّاجِ بَعَثَ مَنْ يُبَرِّحُ عَلَى مَنْ يَعْرِف كيْفَ هيَ وصيَةُ البَكْرِيّ أخاهُ زيداً إلى أَنْ جاءَ رجلٌ كانَ مقيماً على أبوابِهِ سبعَةَ أشهرٍ، فقال له: البكري هو موسى بن جابر البكري الحنفي، وأخاه زيد هو ابن عمه زيد ابن بكر، قال له:

أقــــولُ لزيْـــــدٍ لا تترتــــر فـــــإنَّهُمْ ... يـرون المنايَا دون قتلِكَ أو قَتْلِـي
فـإن وضـعوا حربـاً فضـعها وإن أَبَـوْا ... فعرضةُ نارِ الحرب مثلُكَ أَوْ مِثْلِي
وإِنْ رَفَعُوا الحرب العوان التي ترى ... فشب وقود النار بالحطبِ الجزْلِ

إلى آخرها، وكم حرضنَاكَ على هذا الأمرِ، وكم أرشدناكَ إليه وأنتَ أنتَ، ونحنُ باللَّهِ ما أحوجنا الله إليه، ولا توقفْنَا على فائدَتِكَ ولا فائدةِ غيرِكَ، وقد منحَنَا اللَّهُ ما قلدنا وما أغنَانَا الله به من فضله وإحسانه وغفرانه، بِمَا أنا أظنُّهُ فيه بحمدِ الله، فظنِّي فيه جميلٌ، وإليه يقُولُ في الأثرِ الصحيحِ: أن عند ظن عبدي بي، وظَنِّي فيه لاَ يعملُ لِي إلاَّ الخيرَ وما أنا رَاجِيه، فلا نعوِّلُ إلا على فضلِهِ لا في الدنيا ولا في الآخرة إن شاء الله، فإذا أردت أن تعمَلَ بما يُبْقِيكَ اللَّهُ فيهِ من عمَلِ الجِدِّ والنهوضِ فيما عملنَاهُ لكَ منَ الخيْرِ بما هو من مكافَاتُهُ، وبما تستديمُ بهِ من بقاءِ النعمةِ والرياسةِ عليْكَ، وتجِدُ في ذلكَ كُلَّ الجِدِّ، وإذَا لم تعمَلْ لذلك وَجْهَهُ الذي يُنَفِّس لَكَ ما أنتَ فيهِ فأنت أَعْمَى. وبعْدَ أن انْصَرَفَ عنَّا صاحبُكَ المصابحِي ما رأينا يَلِيقُ بنَا في إنهَاءِ ما في قلُوبنَا إليك، وإلقاءِ ما بَلَغَ فينا عليكَ، ويُنْهِي لك مشافهَةَ ما قلنَاهُ لكَ، ومَا أغاضنَا عليكَ، ويحذِّرُكَ وينْذِرُكَ عن كُلِّ مسألةٍ مسألةٍ إلاَّ خديمُنَا الأرضَى السيد عبد الحق، الكاتبُ الذي تَعْرِفُهُ ويَعْرِفُكَ، وهُوَ الذي رَغَّبَنَا في كتابتك حيث أمرنَاهُ فِيهِ، فَثِقْ بِهِ واحملْ عَلَى قولِهِ، واصْغَى إليْهِ في كُلِّ ما يقولُهُ لكَ سرّاً وجهراً، ونحْنُ ما وثقْنَا إلاَّ بِهِ، يَأْتِينَا جَمِيعُ إخوانِكَ كلِّهِمْ وما يَأْتِينَا بِهِ عليْهِ نَعْمَلُ إِنْ شاءَ اللَّهُ، وأنتَ أَخْبَرُ والسلام، انتهى.

---

(١) هو الحجاج بن يوسف الثقفي، ٤١ـ٩٥هـ، والي بني امية على العراق.

(٢) خامس خلفاء بني امية.

(٣) أحد الخارجين على بني أمية بالعراق.

# المصادر والمراجع

- أحمد البوزيدي، درعة بين التنظيمات القبلية والحضور المخزني، مطبعة أنفو برانت فاس، ٢٠٠٩.

- عبد الرحمن ابن زيدان: المنزع اللطيف في مفاخر السلطان إسماعيل ابن الشريف. تحقيق عبد الهادي التازي مطبعة إديال البيضاء الطبعة الأولى. ١٤١٣/١٩٩٣.

- عبد الكريم ابن موسى الريفي: زهر الأكم مساهمة في تاريخ الدولة العلوية إلى عهد المولى عبد الله ابن إسماعيل. تحقيق ودراسة آسية بنعدادة مطبعة المعارف الجديدة. الرباط. ١٩٩٢.

- عبد الوهاب بن منصور، إلى ولدي المأمون، من مطبوعات القصر الملكي، ١٩٦٨.

- عبد الوهاب بن منصور قبائل المغرب، المطبعة الملكية الرباط، ١٣٨٨/١٩٦٨.

- محمد ابن أحمد أكنسوس: الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي. تقديم وتحقي أحمد ابن يوسف الكنسوسي الوراقة الوطنية دون تاريخ.

- محمد ابن الصغير اليفرني: روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل ابن الشريف. تحقيق عبد الوهاب بنمنصور. المطبعة الملكية الطبعة الثانية. ١٤١٥/١٩٩٥.

- محمد ابن الصغير اليفرني: نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي. تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي. الطبعة الأولى مكناس. ١٤١٨//١٩٩٨.

- محمد ابن عبد السلام ابن أحمد الرباطي الملقب بالضعيف: تاريخ الدولة العلوية من نشأتها إلى أواخر عهد المولى سليمان. تحقيق محمد البوزيدي. دار الثقافة الطبعة الثانية. ١٤٢٨/٢٠٠٧.

- معلمة المغرب. الجمعية المغربية للتأليف والنشر. مطابع سلا. ١٤١٥/١٩٩٥.

# فهرس


مقدمة التحقيق ٥

أولا: السياق العام الذي كتبت فيه الرسائل: الجنوب: المجال، السكان، والتاريخ ٧

المجال: ٧

التاريخ: ٧

السكان: ٨

ثانيا: (التعريف بالمرسِل والمرسل إليه) ١٠

١- التعريف بالمرسل: ١٠

٢- التعريف بالمرسل إليه: ١١

ثالثا: موضوعات الرسائل: ١٢

١- الأمانة والمسؤولية: ١٢

٢- اتخاذ الحزم والعزم: ١٣

٣- ضبط المكاتبات / البراوات: ١٣

٤- اختيار البطانة: ١٤

٦- السعي في تحصيل الجباية: ١٥

٧- ضبط المجال والتحكم فيه: ١٦

رابعا: مفاهيم مؤطرة ١٦

خامسا: المخزن والهامش ١٧

سادسا: المخزن والقبائل: العنف والعنف المضاد: ١٨

سابعا: عملي في الكتاب: ١٨

الرسائل ١٩

[الرسالة الأولى] ١٩

[ الرسالة الثانية] ٢٦
[الرسالة الثالثة] ٣٥
[الرسالة الرابعة] ٤٢
[الرسالة الخامسة] ٤٨
[الرسالة السادسة] ٥٣
[الرسالة السابعة] ٥٧
[الرسالة الثامنة] ٥٩
[الرسالة التاسعة] ٦٢
[الرسالة العاشرة] ٦٤
[الرسالة الحادية عشر] ٦٧
[الرسالة الثانية عشر] ٧١
[الرسالة الثالثة عشر] ٧٣
[الرسالة الرابعة عشر] ٧٤
[الرسالة الخامسة عشر] ٧٦
[الرسالة السادسة عشر] ٧٧
[الرسالة السابعة عشر] ٨٠
[الرسالة الثامنة عشر] ٨١
[الرسالة التاسعة عشر] ٨٢
[الرسالة العشرون] ٨٤
[الرسالة الحادية والعشرون] ٨٧
المصادر والمراجع ٩٢
فهرس المحتويات ٩٣